

الجزيرة المجهولة 2

نهاية البشرية

رضوان شكري

الإيداع القانوني: 2019 MO 1015

ردمك: 978-9920-9897-0-1

مطبعة الخليج العربي

152، شارع الحسن الثاني تطوان

الهاتف: 05 39 71 02 25

البريد الإلكتروني: alkhalijalarabi@gmail.com

© كل الحقوق محفوظة 2019

www.bubok.es/autores/redouane

إهداء

أهدي كتابي إلى كلّ الذين يحبّون السّفر بخيالهم إلى ما بعد حدود الفكر، دون أن توقفهم أيّ جدران من الواقع، الذي قد يكون مليئا بالأوهام التي تخفي الكثير من الحقائق. إنّ الخيال قد يفتح أبوابا تمّ إيهامنا بعدم وجودها، وأحسن البعض إخفاءها عن أنظارنا كما تخفي الشمس عنّا النّجوم، فمن يُطيل التأمّل في السّماء سوف يراها بعد غروبها. إنّ ما نبصره في لحظة ما قد لا يمثّل الواقع بالكامل، ومن ينظر إلى الأشياء بمنظوره الخاص قد يكتشف أشياء ظلّت مخفية عنّا لعدّة عقود. لهذا افتح خيالك، وتخلّص من جميع القيود الوهميّة ولو قليلا، كي ترى بفكرك ما لا تستطيع رؤيته في البداية بعينيك. فالفكر الحرّ قد يجعلك تلمس العالم المخفي، وتحسّ بقوة بوجوده، بالرغم من أنّك لم تراه في الواقع، وربما قد تتأكّد يوما ما من حقيقته، فلن تتعجّب آنذاك بعكس الكثير من النّاس...

تقديم

من البديهي أن لكل شيء نهاية، لكن المؤسف حقا هو النهاية المأساوية للأشياء، خصوصا إذا لم تكن الخاتمة متوقعة بتاتا، بالطريقة وبالشكل الذي ستكون عليه. فمذ أن خلق الله البشر على وجه هذه البسيطة، والحرب مازالت قائمة إلى يومنا هذا، ما بين الخير والشر، بل اشتدت واحتدت أنيابها في السنوات الأخيرة، وصارت توحى بشكل شبه واضح أن نهاية البشرية وشبكة. وهناك من يتوقع سيناريوهات أسوأ من نتائج الحربين السابقتين؛ أي الحرب العالمية الأولى والثانية. فقد ظهرت بوادر حرب عالمية ثالثة، وربما ستكون الأخيرة، بالنظر إلى نتائجها الخطيرة حسب الخبراء في هذا المجال، ولن يفلت منها إلا القليلون، إن استطاعوا فعلا البقاء على وجه هذه الأرض، والذين سوف يتحدثون بمرارة عن التاريخ المشؤوم، ألا وهو تاريخ نهاية البشرية...

– المقدمة:

في الحقيقة هناك العديد من بني آدم الذين يتمنون العيش في أمن وسلام فوق هذا الكوكب الأزرق، وخاصة الأشخاص الذين يتصفون بالإنسانية، ويتحلّون بالصفات النبيلة التي أصبحت شبه منعدمة في وقتنا الحالي. لكن عيشتهم إلى جانب صنف ثان من البشر، والذي يتّصف بالكذب، والنفاق، والخداع وغيرها من الصفات الذميمة. وهو ما دفع الفئة الأولى إلى فقدان الثقة، وأخذ الكثير من الحيطة والحذر في تعاملهم مع الفئة الثانية التي انتصرت بداخلها نزعة الشر، وأضحت هي النزعة الطاغية عليها، والتي تسير بها حتما إلى نهاية مأساوية تجهلها أو تتجاهلها. فالأفعال الشريرة هي اللغة الوحيدة التي تتحدث بها تلك الفئة، وقد صمّت آذانها عن سماع صوت الحق، رغم كلّ المحاولات المتكرّرة لأصحاب العقول لإرشادها إلى الطريق الصحيح، لكن هيهات أن تهدي من تشاء لكن الله يهدي من يشاء.

في خصم هذا الاختلاف الكبير والشاسع بين الفئتين، اختلف الطريق الذي اختارته كل فئة بكل حرّية، طبعا

مع ضرورة تحمل نتائج الاختيار. وبالرغم من كلّ ما قيل، هل هناك من أمل لإقناع الفئة الشريرة عن التراجع عن أفعالها؟ وهل ستمكن الفئة الطيّبة من إنقاذ البشرية من النهاية المأساوية التي أصبحت وشيكة؟ هذا ما ستكتشفونه من خلال قراءة صفحات رواية الجزيرة المجهولة 2: "نهاية البشرية"...

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الرحلة إلى المكسيك طويلة، وبالضبط إلى مدينة "غوادالاخارا" التي تقع غرب المكسيك، وفي طريقهم إلى هناك توقفوا في العديد من محطات الاستراحة، فمنهم من تناول الطعام، والبعض الآخر اكتفى بشرب الماء فقط لعدم إحساسهم بالجوع، نظرا لكونهم تم حقنهم بالمادة الكيميائية، وهو الأمر الذي كان يجهله بعض أصدقاء أنخيل، الشيء الذي أثار فضولهم.

نظر "كارلوس" إلى صديقه "أنخيل" نظرة تعجب وقال:

– لقد لاحظت عدم تناولك للطعام أنتَ ومن كان معك من المختطفين، ألم تشعروا بالجوع رغم مرور وقت طويل منذ مغادرتنا الولايات المتحدة الأمريكية؟

تبادل أنخيل نظرات غريبة مع الشاب أمين وردّ قائلا:

– إنّنا لا نشعر بالجوع يا صديقي، سوف أوضح لك الأمر حينما نصل إلى هدفنا، لا داعي للقلق، كل شيء سيكون على ما يرام.

ابتسمت سميرة وأضافت:

– نعم، نعم، سوف نكتفي بشرب الماء فقط، فكما تعلمون أن أكثر من ثمانين في المئة من جسم الإنسان عبارة عن ماء، أليس كذلك؟

تقبّل "رورتو" صديق "كارلوس" كلام سميرة وعلق قائلاً:

– بالطبع، الأمر علمي ومؤكد، فلا مجال للشك في ذلك.

تدخّل كل من "خوسيه" و"رفايل" و"غابرييل" الذين عانوا كثيراً خلال مدّة اختطافهم وقالوا كلاماً يصب في معنى واحد وهو أن الجميع سوف يعرف القصة كاملة، حينما يصلون إلى "غوادالاخارا"، وأنه لا داعي للعجلة، فالمكان غير آمن وملئ بالجواسيس، وطلبوا من أصدقائهم بتغيير موضوع حديثهم.

في حين اكتفى "رونالدو" صديق أنخيل بالاستماع إلى حديثهم دون أن ينبس بكلمة واحدة.

لقد كان "رونالدو" غريب الأطوار، وربما الشاب أمين وحييته سميرة قد لاحظا ذلك، فهو لم يشاركهم الحديث منذ أن التقوه في الولايات المتحدة الأمريكية،

حيث اكنفى ببضعة كلمات مثل: مرحبا بكم، أنا سعيد بلقائكم، أتمنى أن تجمعنا لحظات أفضل من هذه. أجل إنه لا يتكلم كثيرا كالآخرين، ربما قد يكون خجولا أو لا يحب الدخول في جدالات عقيمة، أو لعلّه مصاب بالكآبة بسبب الظروف التي يمرون بها، من يدري ما يجري بداخله، لكن الأيام القادمة قد تقدم لنا إجابات عن الغموض الذي تتميز به شخصيته، ما علينا سوى الانتظار لمعرفة المزيد عنه، فنحن لسنا في عجلة من أمرنا، فالوقت كفيل بكشف كل الأسرار المخفية.

لقد كان الأصدقاء التسعة آنذاك جالسين في أحد المطاعم الموجود بمدينة "كوليكان روزاليس"، وكانوا يتبادلون أطراف الحديث ويشاهدون التلفاز في الوقت نفسه، لمعرفة آخر المستجدات السياسية، فقد كانوا يهتمون كثيرا بنشرات الأخبار الوطنية والدولية، بينما ظل "رونالدو" يتابع تارة حديثهم، وتارة أخرى يستمع إلى مقدمة الأخبار باهتمام كبير، وكأنه ينتظر سماع شيء في منتهى الأهمية. وفجأة توقف جميع الموجودين في المطعم عندما سمعوا في الشاشة الصغيرة عن عملية إرهابية بالولايات المتحدة

الأمريكية، التي خلفت العديد من القتلى والجرحى، وما أن انتهى الخبر العاجل حتى بدت لهفتهم في تقديم التعليقات والتحليلات السياسية وكأنك أمام محللين سياسيين، لكن سرعان ما وقف كارلوس من على الكرسي وصاح:

– هيا نغادر يا أصدقاء! علينا إتمام رحلتنا، فما زال الطريق أمامنا.

ركبت سميرة والشاب أمين في السيارة وخلفهم الأصدقاء الأربعة الذين ساعدوهم على الفرار، بينما صعد "كارلوس" و"روبرتو" و"رونالدو" في سيارة أخرى.

وبمجرد أن شغلت سميرة محرك سيارتها حتى بدأ الحوار تشتعل أطواره، إذ كان الشاب أمين أول الناطقين حينما سأل صديقه الجديد "أنخيل" قائلا:

– ما رأيك يا "أنخيل" فيما حدث في الولايات المتحدة الأمريكية؟

ضحك "أنخيل" قبل أن يجيب:

– هه هه، إنهم يستحقون ما حدث لهم، فلطالما عانينا من جرائم حكوماتهم المتعاقبة، فالحكومة الأمريكية تابعة للغرباء الذين خططوا لاختطافنا.

تدخّل "خوسيه" وأبدى رأيه في الموضوع بكل صراحة:

– أنا فرحت كثيرا عندما سمعت بالخبر، فالانفجار أكيد استهدف على الأقل أحد الغرباء الذي له يد طويلة تتدخل لتوجيه السياسيين الأمريكيين، فهؤلاء الغرباء لا يتوقفون عن محاسبة وتعذيب كل من يعارض سياستهم في العالم بأسره، لقد صرنا نعيش في عالم تحكمه مافيا عالمية، هذه المافيا لا تتهاون في ترهيب المعارضين بل حتى قتلهم إن اقتضى الحال، فلولا مساعدتك لنا يا أمين لكنا في عداد الموتى ولو بعد حين، إنها سياسة وحشية لا تعرف معنى الإنسانية، فمصلحهم فوق أي اعتبار، لهذا لم أتردد في الانتماء إلى الهيئات الشعبية التحررية السريّة من أجل إنقاذ الإنسانية من الجحيم الذي ينتظرها في ظل حكم هؤلاء الغرباء، أليس كذلك يا أمين؟

صمت الشاب أمين وفكّر لحظات فيما قاله "خوسيه"، ثم أجاب والحزن يمزق قلبه لأنه واحد من الغرباء:

– أنا في الحقيقة أرى أن كلا من الطرفين مخطئ في طريقة تعامله مع الآخر، فالغرباء يرتكبون أخطاء كثيرة في حقنا، كما أن من يعارض سياستهم بالقوة سلوك غير حضاري، فاللجوء إلى العنف ليس هو الحل في نظري، بل الحوار السلمي هو السبيل الوحيد لوضع نهاية لهذا المأزق الذي وقع فيه الطرفان. ومن هذا المنظور يجب إيجاد حل وسط ينهي حالة الفوضى التي يشهدها العالم حاليا، فالبشرية كلها في خطر، والنهاية طبعاً ستكون مأساوية إذا قمنا بإطفاء نور العقل الذي وهبنا إياه الله تعالى.

استمع "رفايل" إلى حديث الشاب أمين وقد حرك حاجبيه نحو الأسفل كتعبير عن عدم الرضا وقال بنبرة غاضبة:

– عن أي حوار نتحدث؟ المافيا لا تعترف حتى بحق وجودنا، فكيف لها أن تتحاور معنا؟ يبدو أنك تجهل الكثير عما فعله الغرباء في العديد من البلدان عبر العالم، لكن سوف تأتي الفرصة وتعرف ما فعلوه، وأتذكر أن سوف تغير رأيك الحالي وتندم على ثقتك

الزائدة فيهم، وهذا ما حدث مع صديقنا "غابرييل"،
أليس كذلك؟

نظر "غابرييل" إلى "رفايل" الذي كان جالسا بجانبه
الأسير وردّ:

– نعم، لقد كنت مخطئا في البداية، لكن الآن أعرف
جيدا نوع البشر الذي يتمون إليه، إن الغرباء دون
رحمة أو شفقة، ولن يرحموك إذا وقعت بين أيديهم،
فأقل شيء قد يفعلوه بك، هو وضعك بالسجن حتى
تتعفن فيه، من الأفضل أن تموت على أن تقع في
الأسر لديهم، فلولا إنقاذك لنا يا أمين لكان مصيرنا
العذاب والألم حتى الموت.

تابعت سميرة سرد الجميع لرأيهم وهي تسوق السيارة
نحو الهدف المعلوم، لكن دون أن تبدي برأيها في
الموضوع، ربما تفاديا لأي مشكل قد تقع فيه هي
وحبيبها أمين.

أمّا في السيارة الثانية، فقد دار حوار مختلف شيئا ما
عن الحوار الآخر، وإن كان قد أثير بسبب نفس الحادث
الذي وقع في أمريكا.

بينما كان "روبرتو" يسوق السيارة، أخذ "كارلوس"،
الجالس في الجانب الأيمن، يتحدث بسرور قائلا:

– إن نجاح هذه العملية داخل أمريكا يعدّ درسا للغرباء
ولن ينسوه أبدا، لكن يجب تكثيف عملياتنا كما
وتطويرها كيفا، حتى نحول حياتهم إلى جحيم كي
يعلموا أن المقاومة الشعبية أقوى مما يتصورون، وأن
سيطرتهم على العالم لن يكون بالسهولة التي يظنونها.

أدار "روبرتو" رأسه إلى حيث يجلس صديقه "كارلوس"
وهو يضحك، ثم عاد ينظر إلى الطريق قائلا:

– أجل، المقاومة هي الحل الوحيد للشعوب كي تتحرر
من المافيا التي تسيطر على العالم منذ عدّة عقود،
فرغم قلة ومحدودية وسائلنا بالمقارنة مع ما يتوفرون
عليه، فإننا لن نستسلم لهم، ولن نخضع لضغوطهم،
ولن نرضخ لسياستهم الظالمة، هل أنت موافق يا
"رونالدو"؟

أجاب "رونالدو" باقتضاب شديد كالعادة:

– أجل، صحيح.

ضحك كارلوس وعلّق قائلا:

– أنتَ دائماً توافق مهما قلنا، إنني أتمنى أن أسمع رأيك
يوماً ما دون تكرار نفس الكلمات يا صديقي.

ضحك بدوره روبرتو وأنهى الكلام قائلاً:

– أجل، يوماً ما سوف يعبرّ بجرأة أكبر.

ابتسم رونالدو دون أن ينبس بكلمة أخرى وساد
الصمت بعد ذلك الحوار، وتابع روبرتو السياقة والجميع
يتأمل الطريق وكأنهم يمرّون من هناك لأول مرة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الاجتماع سرّياً للغاية، في مكان ما بالجزيرة تحت
الأرض، إذ حضر إليه مجموعة من الشخصيات الهامة
بطلب من الجنرال سفيان، وقد كان السيد سعيد وعبد
الواحد من الحاضرين، وأيضاً حضر الطبيب "منتصر"
المتخصص في علم البيولوجيا، لكن تم استبعاد جمال
من ذلك الاجتماع، تفادياً للإحراج الذي سيقع فيه بسبب
ما قام به ابنه الشاب أمين، كما أن السيد ربيع كان
غائبا عن الاجتماع لأنه لم يرجع بعد من الولايات
المتحدة الأمريكية.

أخذ الجنرال سفيان الكلمة وعلامات القلق بادية على وجهه، ونظراته كانت تعبر عن الغضب الشديد، الشيء الذي جعل الحاضرين يشعرون بنوع من التوتر خوفاً مما سيقوله الجنرال، وكان الترقب سيّد الموقف لحظات قبل أن يبدأ سفيان في قراءة الخطاب الذي كان قد أعدّه سابقاً، والكلّ ينتظر فحواه بفارغ الصبر، وما أن هم بسرد محتواه حتى ساد الهدوء والصمت القاعة:

– أيّها السادة الحاضرون، اليوم دعوتكم لحضور هذا الاجتماع المصغّر لأطلعكم على المستجدّات التي طرأت خلال الآونة الأخيرة، لكن في البداية أشكركم على حضوركم وإحساسكم بالمسؤولية والتفاني في عملكم. ومن هذا المكان أعلمكم أنّنا قد قمنا بتغيير بعض الأولويات وفق آخر التطوّرات، وعليه سوف نضاعف جهودنا ونزيد من ساعات العمل حتى نحقق أهدافنا في أسرع وقت ممكن، فكما تعلمون فقد توصلّ الشاب أمين إلى العنصر الكيميائي الذي سوف يمكننا من الاستغناء عن الطعام، وهو أمر لطالما سعيّا إليه، وإن كان قد اختفى عن الأنظار هو وزميلته

سميرة، وحسب استعلاماتنا فإننا نظنّ أنّهم غادروا الولايات المتحدة الأمريكية بواسطة جوازات سفر مزورة تحمل أسماء وهمية، الأمر الذي حال دون إمكانية تعقب أثرهم، لكن البحث عنهم مازال قائماً حتى هذه السّاعة. بالإضافة إلى ذلك فإننا نطلب من الطيب منتصر أن يخبرنا بآخر الاكتشافات في البحث السريّ للغاية والمتعلّق بالخلود لأن الوقت لم يعد في صالحنا، وأتمنى أن يكون قد توفّق فريق البحث في الوصول إلى نتائج معيَّنة في ذلك المجال، وأتمنى من الأطراف الحاضرين إغناء هذا الاجتماع بملاحظاتهم واقتراحاتهم، آمليّن من أعماق قلبنا أن نصل إلى ما يرضي جميع سكان هذه الجزيرة.

وما أن انتهى الجنرال من إلقاء كلمته المقتضبة حتى تدخل السيد سعيد قائلاً:

– حسب آخر تواصل مع عملاتنا في العالم الخارجي، فإن رقم لوحة سيّارة الباحثة سميرة قد تم التقاطه بواسطة إحدى الكاميرات في الحدود مع المكسيك، وهو ما يؤكّد فرارهم إلى دولة المكسيك، لهذا سوف

نحاول العمل مع عملائنا هناك لاسترجاع مواطنينا
عندما نحدّد مكانهما بالضبط.

نظر الجنرال إلى مكان تواجد السيد سعيد وسأله:

– ولماذا اختاروا الذهاب إلى المكسيك؟

أجاب سعيد دون تأخير قائلاً:

– أظن أن الأمر يرجع إلى أصل المتطوعين الذين كانوا
بالمختبر، فقد كانوا من المكسيك، ولا بد أنّه كان لديهم
أصدقاء مكسيكيون يقيمون بالولايات المتحدة
الأمريكية.

وقف عبد الواحد وأردف قائلاً بصوت مرتفع:

– إن الأمر خطير للغاية، فالشاب أمين يمتلك معلومات
سرية وفي غاية الخطورة، والتي تتعلق بالبحث
السري، لهذا أقترح وضع خطة لإقناعه بالعودة إلى
صفتنا، وأتمنى أن يدرك أنه يقف إلى جانب أشخاص
أشرار يعملون ضد الإنسانية جميعاً منذ القدم.

عاد عبد الواحد للجلوس من جديد على مقعده، في حين تدخلت السيّدة ملاك التي كانت ترتدي الزيّ العسكريّ قائلة:

– أنا أعتقد أن السيدة سميرة سوف تتحلّى بالحكمة، فهي تعرف الكثير من الأمور عن أولئك الأشرار والتي يجهلها الشاب أمين، لهذا أظنّ أنّه علينا انتظار ردّة فعلها، فلحدّ الآن لا نعرف السبب الذي جعلها تهرب مع الشاب أمين، وربما كانت مضطرّة للقيام بذلك، فما علينا سوى الانتظار بعض الوقت حتّى تتّضح الأمور.

شعر سفيان بنوع من الارتياح عند سماعه لكلام العسكرية ملاك، ويبدو أنّ الأمل عاد من جديد في قلوب الحاضرين، وهو ما جعل الجنرال يغير الموضوع موجّها كلامه إلى الطبيب "مُنتصر":

– الآن أطلب من الطبيب مُنتصر أن يوضح لنا عمّا توصّل إليه فريقه في مسألة الأبحاث المتعلّقة بالشيخوخة.

على الفور وقف الطبيب "مُنتصر" وأفصح قائلاً:

– حسنا، أولا البحث في هذا المجال أمر معقد للغاية ويتطلب الكثير من الأبحاث والتجارب، فمذ القديم وأجدادنا راودهم حلم الوصول إلى الخلود، وأعتقد أننا مازلنا نحتاج للكثير من الوقت كي نصل إلى مبتغانا، لكن مع ذلك فإن فريق البحث قد توصل إلى نتائج باهرة، فقد تمكنا بفضل الله أن نطيل في عمر الخلايا عن طريق الزيادة في عدد الانقسامات الخلوية، وذلك بزيادة حجم منطقة "التيلومير" الموجودة في الصبغيات الوراثية. ويفضل هذه الطريقة سوف تتمكن من إطالة عمر سكان الجزيرة باستعمال حقنة أطلقنا عليها اسم حقنة الخلود النسبي. وأتمنى أن تتمكن في المستقبل المتوسط أو البعيد من إعادة برمجة الخلايا وراثيا كي تظل حية بشكل دائم، وبالتالي القضاء على ظاهرة انتحار الخلايا المبرمج.

اتتهى الطبيب مُتتصر من شرح نتائج فريق البحث الذي يشرف عليه منذ سنوات، وعاد للجلوس مجددا وتصفيقات الحضور جعلته يحس بالفخر والاعتزاز.

كان الجنرال سفيان آخر شخص تدخل بعدما وضّح الطبيب نتائج أبحاث فريقه، وأنهى الاجتماع طالبا بدل

المزيد من المجهودات في سبيل تحقيق رخاء وسعادة
سكان الجزيرة.

غادر الجميع قاعة الاجتماع والأمل كبير في غد أفضل،
بالرغم من المشاكل التي باتت تفرق بعضا منهم،
وخاصة الجنرال سفيان، وكذا السيد سعيد الذي مازالت
أمامه مسؤولية تحديد مكان تواجد الشاب أمين وزميلته
سميرة قبل فوات الأوان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

دامت الرحلة ثمان ساعات تقريبا من "كوليكان
روزاليس" كآخر محطة توقفوا بها إلى غاية الوصول
إلى مدينة "غوادالاخارا" المكسيكية. كان التعب هو
الإحساس الذي سيطر على معظم أصدقائنا، وخاصة
الشاب أمين وحيبته سميرة لكونهما لم يعتادا على
السفر لمسافة طويلة جدًا بواسطة السيارة.

توقفت السيّارتان بالقرب من منزل من طابقين اثنين
حوالي الساعة التاسعة ليلا، وأسرع "كارلوس" إلى
فتح الباب فدخل الجميع إلى الطابق السفلي واحدا تلو

الآخر، لقد كان المكان واسعاً، يتكوّن من ثلاث غرف
وحمامين ومطبخ وبهو.

اقترب "أنخيل" من الشاب أمين وأردف قائلاً:

– يمكنك أنت وصديقتك أن تناما بالطابق العلوي، هيّا
اصعدا إلى هناك إنى أراكما مرهقين، فالأمر مؤكد
أنكما لم تقطعا مثل هذه المسافة من قبل، أليس
كذلك؟

تبسم أمين وردّ قائلاً وهو يمسك بيد حبيبته سميرة:

– أجل، إنها المرّة الأولى التي قضيت فيها كل هذه
المدة الزمنية في السّفر بواسطة السيّارة.

على الفور علّقت سميرة قائلة:

– لم أكن أعلم أنني سوف أتحمّل السّفر كل هذه
المسافة، لكن الظروف أجبرتنا على القيام بذلك.

ضحك "أنخيل" وقال:

– نحن معتادون على قطع مسافات طويلة لمدّة
أطول، لا داعي للقلق فسوف تعتادون مع مرور الوقت
يا أصدقاء.

أنهى أمين حديثه قائلاً:

– حسناً، سوف نصعد لكي ننام، فالسفر كان طويلاً.

أضاف أنخيل بكل أدب:

– ليلة سعيدة !

ردّت سميرة ملوّحة بيدها اليمنى:

– ليلة سعيدة !

هكذا صعد الاثنان معا إلى الطابق العلوي عبر الدّرج، وتابعا المشى عبر الرواق، إلى أن انتهى بهما المطاف إلى غرفة واسعة تحتوي على سرير لشخصين، وصوان من الخشب الرّقيق، وعلى الحائط بالجهة المقابلة للسرير علّق تلفاز من الحجم المتوسط، وفي الخارج مقابل باب الغرفة يوجد هناك حمّام مستطيل الشكل.

نزع الشاب أمين وحبّيته حذاءهما، وليس كل منهما نعلا كان موضوعا جانب باب الغرفة، واستلقيا فورا على السرير وأخذوا يتبادلان الأفكار بهدوء:

– لقد لاحظت عدم إبدائك أي رأي فيما يخص الحادث الذي وقع في الولايات المتحدة الأمريكية، ترى ما سبب ذلك؟

نظرت سميرة إلى الشاب أمين وهي تبتسم، ثم أجابت:

– الأمر واضح جدًا ولا يحتاج إلى أي تفسير، فرأيي كان سيسبب التوتر في علاقتنا بهؤلاء الإرهابيين، فأنا طبعا أعارض بشدة مثل هذه الأفعال، وأظن أنّ الأمر سيان بالنسبة لك أنت أيضا، أليس كذلك؟

أغمض أمين عينيه جزئيا وكنم ضحكته وقال:

– أجل، أنا أيضا لا أوافق بتاتا على مثل هذه الأفعال الإجرامية، كما أنني عارضت اختطافهم ومعاملتهم بطريقة لا تليق بالإنسان، فقد أخطأنا عندما قمنا باستغلالهم في المختبر كفرن التجارب، لكن الأمر الذي حيرني هو اتهامهم لنا بأمور عدّة لا أدري إن كان ذلك صحيحا أم لا، فما رأيك أنت في التهم الموجهة للغرباء الذين هم نحن؟

اعتدلت سميرة في مكان نومها وأخذت نفسها عميقا
قبل أن تجيب قائلة:

– كلّ التهم باطلة ولا أساس لها من الصّحة، فهم
يحاولون إقناعك بأشياء وهمية حتى تصدّق روايتهم،
أمّا أنا فأعرف جيّدا خطّطهم وأفعالهم الشريرة، فكلّ
ما يمكنه أن أقوله لك حاليا هو الحذر كثيرا منهم وعدم
تصديقهم، والأهم من هذا كلّ أن لا تساعدكم فيما
يخص الأبحاث التي نقوم بها، فبمجرّد أن يتمكنوا من
الحصول على العلم الذي بحوزتنا فإنهم سوف
يتخلّصون منّا فورا ودون تردّد. لهذا أطلب منك مجدّدا
الحذر والتربّث حتى تعرف حقيقتهم التي يجيدون
إخفاءها، هل فهمت ما أريد قوله؟

أجاب أمين بالإيجاب وأغلق عينيه، ثم قال:

– نوم هانئ يا عزيزتي!

أنهت سميرة كلامها قائلة:

– وأنت أيضا يا عزيزي!

شعر الشاب أمين بالتوتر وتسارعت دقات قلبه داخل صدره، والكثير من الأسئلة تبادرت إلى ذهنه لكن دون إجابات، حاول أن يسيطر على نفسه حتى يتغلّب على الشعور الغريب الذي انتابه لكن دون جدوى، ربما أصابه الخوف، فقد يكون ما قالته له سميرة صحيحا، خصوصا وأنها لا تملك سببا معقولا لإثارة خوفه، الشيء الذي جعله يتساءل في قرارة نفسه إذا ما كان قد أخطأ في اتخاذ قرار الهروب مع أناس لا يعرف الكثير عنهم سوى ما سمعه من "أنخيل"، ربما كان عليه التحدّث في الأمر مع السيّد ربيع صديق عمّه، لكن ما جدوى التفكير في هذه الأشياء الآن، فقد وقع ما وقع، ولا يمكنه أن يغير الأمر، وما عليه سوى الهدوء كي ينام ويستريح، والأيام القادمة ستكون حاسمة وستوضح الأمور أكثر.

ظل الشاب أمين على هذه الحال لأكثر من ساعة من الزمن، وقد غطّت حبيته في نوم عميق، بينما هو يتقلّب في مكانه حتى غلبه أخيرا النّوم وانتهت صراعاته الداخلية مع أفكاره وهو واجسه.

كان الأصدقاء في الطابق السفلي جالسين على الأريكة في البهو، يتبادلون الحديث فيما بينهم، وكان الاستغراب هو الموقف السائد، وقد ظهر التعجب على وجه "كارلوس" الذي تدخل قائلاً:

– حسب ما قلته يا "أنخيل" فإنكم لم تحسّوا بالجوع، والسبب يرجع إلى تلك الحقنة العجيبة، إنّ الأمر مدهش ولا يصدّقه العقل، لو لم أكن أعرفك ما كنت صدّقت كلمة واحدة ممّا قلته. يجب علينا أن نعرف المزيد عن هذا الموضوع، وإنها لفرصة ذهبية كي نطلب من "أمين" أن يساعدنا في صناعة عينات أخرى من الحقن، وأتمنى أن لا يرفض طلبنا هذا.

نظر "رونالدو" إليهم نظرة غريبة وقال بنوع من الدعابة:

– إذا كنتم لا تشعرون بالجوع فأنا أشعر به وأريد تناول بعض الطعام.

ضحك الجميع عند سماع كلامه، وعلّق روبرتو قائلاً:

– حسناً، اذهب وأعدّ لنا أكلاً شهياً، فأنا لا أستطيع النوم ومعدتي فارغة.

أضاف "كارلوس" وهو يقهقه:

– سوف نتناول الطعام نحن الثلاثة، أمّا أتم فسوف
تكتفون بشرب الماء، الأمر غريب للغاية، من سيصدّق
هذا الشيء.

على الفور توجه "رونالدو" إلى المطبخ وارتدى بدلة
الطباخين ووضع قُبعة عالية، ثم شرع في إعداد شربة
العدس بقطع من اللحم مع بعض الخضروات، بينما
تابع الآخرون حديثهم فيما سيقومون به في الأيام
القادمة، وخاصة بعد أن عرفوا أحد أهمّ الأبحاث التي
يقوم بها الغرياء، والتي جعلتهم يشعرون بالدهشة.

وقف "كارلوس" وخطا خطوتين وهو يفرك فروة
شعره وكأنّه يفكّر في أمر ما، وبعد لحظات نطق
والآخرون ينصتون له بامعان:

– أعتقد أنّ أولوياتنا يجب أن تتغيّر، فمن خلالكم
توضحت أمور كثيرة كانت سابقا مبهمة، فأبحاثهم
العلمية لن تتوقف عند هذا الحدّ، لذا يجب أن نعرف
كلّ الأسرار المتعلقة بمشاريعهم السريّة حتى نستطيع
أن نتوقّع ما ينوون فعله بالضبط، فالعدوّ يملك من

التكنولوجيا والعلم ما لا نملك، ومسألة الاستغناء عن الطعام تعدّ مفاجأة كبيرة لنا، وهذا يعنى بالضرورة أنّهم يخفون لنا الكثير من المفاجآت، وخاصة في المجال العسكري، فماذا نحن فاعلون؟

قام "رفايل" أيضا من مكانه واقترب قليلا من "كارلوس" وأردف قائلا:

– يجب علينا اكتشاف كلّ أسرارهم بذكاء، وبعد ذلك نضرب بقوة دون شفقة أو رحمة، وإذا عرفنا مكانهم ضعفهم انتصرنا، فعامل الوقت يلعب لصالحهم، والعدّ التنازلي قد بدأ، وإعلان النصر أو الهزيمة قد اقترب مع الأسف الشديد.

عاد "كارلوس" للجلوس على الأريكة من جديد وربّت على كتف "خوسيه" وقال مخاطبا إيّاه:

– وما رأيك أنت يا "خوسيه"؟

أمسك خوسيه ذقنه بالسبابة والإبهام، مفكراً لوهلة قبل أن ينطق قائلا:

– أنا متفّق تماما مع آرائكم، لكن قبل الإقدام على أي شيء يجب استشارة رئيسنا المباشر، إذ لا يمكن لنا التحرك بشكل انفرادي.

اعتدل "كارلوس" في جلسته وأخرج ما يدور برأسه:

– طبعاً، هذا ما كنت أفكرّ فيه، سوف أتصل به هاتفياً كي ألتقي به في الغد إن شاء الله.

جلس رفايل بالقرب من أصدقائه على الأريكة وعلّق قائلاً:

– هذا هو عين الصّواب، فرئيسنا سوف يرسم لنا الخطة التي يتعيّن علينا تنفيذها دون أخطاء.

نظر كارلوس نظرة سريعة إلى أصدقائه وأبدى ملاحظته قائلاً:

– يبدو أننا لم نسمع رأي كل من أنخيل وغابرييل وروبرتو، ترى فيما تفكرون؟

ابتسم الثلاثة وعلّق أنخيل أولاً قائلاً:

– أنا أيضا أعتقد أنه يجب إخبار رئيسنا المباشر بكلّ خطوة نريد القيام بها حتى لا نقع في أيّ مشكل لاحقاً.

حكّ روبرتو أنفه وأكّد ما قاله صديقه أنخيل، كما عبّر غابرييل عن نفس الموقف بحزم.

استمع كارلوس لرأيهم وعلّق على الفور بقوله:

– حسناً، غدا سوف ألتقي رئيسنا المباشر، وسأخبره بكل ما استجدّ من أمور، وعندئذ سوف نعرف ما يجب علينا القيام به. أما الآن فليذهب أحدكم إلى المطبخ ليري إن كان قد انتهى رونالدو من إعداد الطعام، فقد بدأت أشعر بالجوع و لا أريد الانتظار أكثر.

اتّجه روبرتو فوراً إلى المطبخ ودخل وهو يتكلّم بصوت مرتفع شيئاً ما:

– إن رائحة الطعام لذيذة، أتمنى أن تكون قد انتهيت من إعداده.

تبسّم رونالدو وأجاب دون إطالة في الكلام:

– العشاء جاهز.

فرح روبرتو عند سماعه الجواب وأضاف قائلاً:

– إن كارلوس جانع، هَيَّا أحضر الطعام بسرعة ولا
تأخر يا صديقي !

غادر روبرتو المطبخ والتحق بأصدقائه، وأخبر صديقه
كارلوس بأنّ الطَّعام جاهز، وما أن انتهى من كلامه
حتى جاء رونالدو وهو يحمل في الصينية ثلاثة صحون
ممتلئة بشربة العدس تفوح منها رائحة لذيذة.

وضع رونالدو الصحون فوق الطاولة التي كانت توجد
بالقرب من الأريكة، وأخذ الثلاثة يتناولون وجبة العشاء
والأربعة الآخرون ينظرون إليهم وكأنهم لم يسبق لهم
أن رأوا شخصا يتناول الطَّعام.

هكذا تناول أصدقاؤنا الثلاثة شربة العدس بقطع اللحم
مع الخضروات التي أعجبتهم كثيرا، فقد كان صديقنا
رونالدو طبَّاحا ماهرا بشهادة أصدقائه، وبعد الانتهاء
من الأكل شعر أصدقاؤنا بالعياء والنعاس، وما كان
أمامهم سوى الذهاب إلى غرف النوم المتواجدة بذلك
الطابق السفلي والاستسلام للنوم العميق حتى
تستريح الأبدان من تعب السَّفر الذي كان شاقا

وطويلا، لكن تجربتهم الطويلة جعلتهم يقاومون التعب
لفترة أطول.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الساعة تشير إلى العاشرة صباحا، وكان عبد
الواحد جالسا مع زوجته ملاك، يتناولان وجبة الفطور
في هدوء، فجأة نظر عبد الواحد إليها وقال مخاطبا
إياها:

– اليوم سوف أزور أخي جمال لأنني أريد الحديث معه
في أمور تخص ابنه أمين.

– كما تشاء، بلغ سلامي الحار إلى زوجته رقية.

تناولت ملاك قطعة من الحلوى وارتشفت القهوة ثم
استطردت قائلة:

– يجب أن نجد وسيلة لمعرفة مكان تواجد أمين، لكن
أولا يجب مغادرة الجزيرة حتى نحاول الاتصال بالباحثة
سميرة، هذا إذا لم تتخلص من هاتفها النقال.

ضحك عبد الواحد وقال:

– إنك قرأت أفكاري يا عزيزتي، لقد كنت أفكر في نفس الأمر، إنها فكرة رائعة، ومادام أنك تتفقين معي في هذا الطرح، سوف نقوم بهذا الأمر بشكل سرّي حتى لا يعارضنا أحد من المسؤولين، هل أنت موافقة؟

– نعم، دون أدنى شك يا حبيبي!

– شكرا على تفهمك.

– لا شكر على واجب.

– إذن سوف نتحدّث في التفاصيل عندما أعود في المساء إن شاء الله.

– حسنا، كما تشاء.

أكمل عبد الواحد تناوله وجبة الفطور وقام من مكانه، وحمل حقيبته اليدوية السوداء اللون، ثم قبل زوجته وغادر المنزل قائلا:

– إلى اللقاء يا حبيبي!

ردّت عليه وهي تلوّح بيدها اليمنى:

– إلى اللقاء يا عزيزي!

وقبل أن يقفل باب المنزل خلفه صاح قائلاً:

– لا تنتظرنى اليوم فى الغداء، مع السّلامة.

ختمت ملاك كلامها قائلة:

– أعرف ذلك يا عزيزي، اهتم بنفسك.

ركب عبد الواحد سيّارته التي تسير بالطاقة الشمسية، أدار المحرّك وانطلق بها نحو منزل أخيه، وفكره مشوّش بسبب ما يجب عليه أن يفعله، لإنقاذ ابن أخيه، الذي وضع نفسه بين أياد لا يعلم إلى أي حدّ قادرة على إلحاق الأذى به. كانت الطريق شبه خاليه فى ذلك الوقت من الصّباح، وخلال دقائق معدودة من الزمن، وصل إلى هناك وأرّكن سيّارته بجانب المنزل، ونزل منها، فأغلق بابها بلمسة سريعة، ثم دقّ جرس المنزل مرتين، فكان السيّد جمال فى استقباله ودعاه إلى الدخول.

جلس عبد الواحد على الأريكة بعد أن تبادل التحيّة مع رقيّة، ودون أن ينسى تبليغها سلام زوجته لها، ثم جلس جمال بالقرب منه، وسارع إلى سؤاله بنبرة حزينة:

– هل هناك من معلومات جديدة حول ابني أمين؟

نظرت رقية إلى عبد الواحد ونبضات قلبها تسارعت من شدة تعلقها بابنها، فكانت متلهفة لسماع خبر مفرح، كما أحسّ عبد الواحد بخيبة أمل لأنه لا يحمل في جعبته أي معلومة تخفّف من حزن أخيه وزوجته، لكن حاول أن يسعدهما قائلًا:

– لا داعي للقلق، أنا وزوجتي نفكّر معا في القيام بمبادرة ربما ستزحج القضية شيئا ما.

عاد الأمل ولو نسييا إلى رقية وزوجها الذي طرح السؤال على الفور:

– وما الذي ستقومان به؟ هيا أخبرنا إننا لم نعد نتحمّل غيابه بهذا الشكل.

في تلك الأثناء ظهرت الخادمة سلوى وهي تحمل في يدها صينية مليئة بكؤوس من عصير البرتقال، وصحن مزخرف يحتوي على قطع مختلفة من الحلوى، وقامت بوضعها فوق طاولة زجاجية متوسطة الحجم كانت توجد بالقرب من الأريكة، ثم انصرفت بعد إلقاء التحية على الضيوف.

أخذ عبد الواحد كأساً من عصير البرتقال وقطعة من الحلوى، ثم بدأ يجيب قائلاً:

– في الحقيقة إن ما نريد القيام به سيكون سرّياً ولن يعرفه المسؤولون في الجزيرة، وفي البداية سيقصر الأمر على بعض الأصدقاء المقربين فقط.

تمت رقية من شدّة التوتّر:

– وما الذي ستفعلونه بالضبط.

– حسناً، سوف يتعيّن عليك مغادرة الجزيرة مع زوجتي بشكل سرّي، فهي سوف تجد عذراً مقنعاً كي تغادر دون أن تترك أي شكوك تحوم حولها..

قاطعه عبد الواحد سائلاً إيّاه:

– ومتى سنغادر؟

– عمّا قريب، سوف أخبرك في الوقت المناسب، المهم كن على أهبة الاستعداد.

تدخّلت السيدة رقية قائلة:

– أنا أيضاً أريد الذهاب معهما.

لاحظ عبد الواحد قلقها وشحوب وجهها من قلة النوم خلال الأيام الأخيرة، فحاول تهدئتها بالقول:

– اطمئني يا رقية، سوف تقوم زوجتي بكل ما بوسعها حتى يعود الشاب أمين إلينا سالما، فسفرك مع زوجك سوف يثير الشكوك، وهذا ما نحاول تفاديه، لذا سوف يذهب زوجك برفقة زوجتي للقيام بالمهمة بأسرع ما يمكن، هل أنت موافقة؟

فكرت رقية لحظات من الزمن قبل أن تجيب بكل تفهم وهدوء:

– نعم، أنا موافقة، وأتمنى لهما التوفيق في المهمة دون أية مشاكل، فالأهم من ذهابي هو عودة ابنتنا سالما إن شاء الله.

بدا السرور على محيي عبد الواحد بعدما أقنع رقية بسهولة بعدم الذهاب في تلك المهمة الخطرة نوعا ما، وتابع قائلا:

– أعتقد أن الوقت قد حان لأغادر إلى العمل، وسوف أخبركما بكلّ جديد في الوقت المناسب، ليكن في علمكما أن حياة ابنكما استتفرت جميع أجهزتنا داخل

وخارج الجزيرة، لهذا لا تقلقا أكثر من اللازم، فكل شيء سيكون على ما يرام.

أنهى عبد الواحد شرب العصير وقام من مكانه، ثم غادر بيت أخيه قاصدا عمله بعد أن تلقى الشكر من جمال وزوجته.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

استيقظ "كارلوس" قبل بقية أصدقائه، توجه إلى الحمام مباشرة وغسل وجهه ومشط شعره، ثم خرج من هناك وجلس على كرسي بالقرب من الأريكة، وأخرج هاتفه من جيب سرواله، واتصل برئيسه المباشر قائلا:

– صباح الخير يا "أليخاندرو"! كيف حالك؟

– مرحبا! أنا بخير، إني أراك تتصل بي في الصباح، هل هناك من أمر مستعجل؟

وقف كارلوس وخطا ثلاث خطوات في الهو وأجاب:

– أجل، لقد وصلنا البارحة للمكسيك، وساعدنا بعض الأصدقاء من الفرار من الولايات المتحدة الأمريكية،

والذين كانوا مختطفين هناك من طرف الغرباء، لكن هناك أمر هام جدًّا يجب أن أخبرك به، لهذا أريد ترتيب لقاء معك هذا المساء وسيأتي معي شخصان كانا سببا في تخليص أصدقائنا من الأسر.

– إذن موعدنا على الساعة الرابعة مساء في نفس المكان المعتاد.

– كما تشاء، إلى اللقاء !

أنهى كارلوس المكالمة الهاتفية، وأرجع هاتفه المحمول إلى جيبه، ثم توجه إلى إحدى الغرف وأخذ ينادي بصوت مرتفع شيئا ما:

– هيا استيقظا، لقد حان وقت الفطور يا رونالدو، وأنت يا روبرتو ما زلت تتقلّب في السرير ذات اليمين وذات اليسار، هيا استيقظا لقد نمتما ما يكفي.

رمى رونالدو الغطاء جانبا وقام فورا من فراشه دون أن ينبس بكلمة واحدة، بينما عبّر روبرتو عن تدمره قائلا:

– لماذا علينا الاستيقاظ، مازال الوقت مبكراً، وما الذي سوف نقوم به، دعنا ننام ولو قليلاً.

غضب كارلوس عند سماع قوله وعلّق قائلاً:

– إنك تحتاج إلى ساعات طويلة من النوم كالعادة، يجب أن تغيّر نمط حياتك، فالنوم لمُدّة طويلة مسألة غير صحيّة كما تعلم.

يبدو أن روبرتو خضع للأمر الواقع حينما قام من الفراش وقال:

– حسناً، في المرّة القادمة سوف أحاول النوم باكراً حتى أتمكّن من الاستيقاظ مبكراً بسهولة.

وما أن انتهى كارلوس من حديثه مع روبرتو، توجّه إلى الغرفة الأخرى التي تحتوي على شرفة تطل على الشارع، وبدأ يصيح مجدداً:

– خوسيه، رفايل، غابرييل، هيا استيقظوا من سباتكم، لقد أشرقت الشمس منذ ساعات وأنتم مازلتُم في الفراش كالموتى، يبدو أنكم تحتاجون إلى مربيّة تهتم بكم كالصغار، هيا تحرّكوا !

قام الثلاثة من الفراش دون أن يعلّقوا على حديث صديقهم الذي اعتادوا عليه منذ سنوات، وفي تلك الأثناء أراد أن يذهب إلى الغرفة الثالثة، فتفاجأ بخروج أنخيل منها وهو يحكّ عينيه قائلاً:

– لما الصّراخ في هذا الصّباح، سوف تزعج أصدقاءنا الجدد، فهما لم يعتادا بعد على نمط حياتنا هنا، أليس كذلك؟

ضحك كارلوس وعلّق قائلاً:

– أكيد سوف يعتادون على طريقة عيشنا، لقد حلّا ضيفاً علينا لمُدّة ثلاثة أيام لا أكثر، وبعدها سيخضعان لعاداتنا السيّئة !

أغلق أنخيل باب الحمّام وراهه وقال بصوت مهموس:

– لا أظن ذلك بتاتا !

وخلال نصف ساعة تقريبا كانت وجبة الفطور جاهزة، وكان كل من كارلوس وروبرتو ورونالدو يتناولون قطع الحلوى مع الشاي، بينما كان الآخرون جالسين يتبادلون النظرات وكأنهم مازالوا يتعجبون من عدم إحساسهم

بالجوع رغم مرور فترة ليست بالقصيرة على آخر
وجبة، طبعاً إن الأمر غريب ومخالف للمنطق الذي
اعتادوا عليه، لكن من يستطيع أن يكذب العلم، فهو
سلاح مفيد إذا كان بيد الأخيار، وسلاح خطير في يد
الأشرار، إنَّه العلم يا شباب، قد ينفع الإنسانية كما قد
يضرها، فالعاقل يستخدمه للاستفادة منه، أما المجنون
فيجعل منه قوّة مدمّرة، فحذار من وضع أسراره في
يد الأشرار.

وبعد لحظات نزل كل من الشاب أمين وحبيبته سميرة
من الطابق العلوي، والتحقوا بالآخرين وجلسوا بالقرب
منهم على الأريكة متبادلين التحية مع الأصدقاء الجدد،
فبادر كارلوس إلى الحديث مع الشاب أمين:

– كيف قضيتم الليلة هنا؟

زفر الشاب أمين قبل أن يردّ:

– جيّد والحمد لله، لكن خلال الليل سمعت بعض
الصراخ في الحيّ.

تدخلّ خوسيه وقال:

– إنّه شيء عاد هنا في الأحياء الشعبيّة، الجميع يتحدّث بصوت مرتفع، لكن سوف تعتاد على الأمر مع مرور الوقت ولن تكثر له.

قضم كارلوس الحلوى قضمة كبيرة ثمّ تحدّث بنبرة
آمرة:

– يجب أن ترافقني في مهمّة يا أمين !

شعر أمين بالفضول ولم يستطع الانتظار لاستطلاع
الأمر فاستفهم قائلاً:

– إلى أين بالضبط؟

أدخل كارلوس في جوفه ما كان في فمه ثم أجاب:

– سوف نقوم بزيارة لرئيسنا المباشر في المساء كي
تتعرفّ عليه أنتَ وزميلتك سميرة، ما رأيك؟

نظر أمين إلى حبيته نظرة سريعة ثم قال:

– طبعاً سوف نذهب، أظن أنها فرصة جميلة للتعرفّ
عليه ومعرفة المزيد عن منظمتم.

استحسن كارلوس موقفه وعلّق بقوله:

– هذا جميل، أتمنى أن يكون لقاء رائعا بأن تصبحا
فردين من أفراد منظمتنا، فمهمتكما ستعود بالخير على
الشعوب.

ضحكت سميرة وسألت:

– وما الذي يجعلك متحمّسا هكذا وبهذه السرعة؟

ارتشف كارلوس ما تبقى في كأسه من الشاي وردّ
عليها:

– إنّ الوقت أيتها الصديقة، وأعتقد أن مصير البشرية
سيكون بين يديكما، وأتمنى أن تكونا عند حسن ظني.

تابع الشاب أمين كلام كارلوس وتدخلّ بقوله:

– لا تقلق، سوف نقوم بكلّ ما سيخدم البشرية
جمعاء، فمساعدة الآخرين من شيمنا وتقاليدنا
القديمة، فلا مجال للشك في حسن نيتنا.

قام كارلوس من مكانه والكلّ يحدّق إليه ثمّ قال:

– كلام جميل ومعقول، فلنكونا على استعداد للذهاب
معي يا أصدقاء.

تبسّمت سميرة وهي غير مرتاحة لما سمعته وقالت:

– حسنا، كما تشاء يا كارلوس!

إنتهى الثلاثة من تناول وجبة الفطور، وحمل رونالدو الأواني إلى المطبخ كالعادة وهو يردّد بصوت منخفض شيء ما: "النهاية قريبة، النهاية أكيدة".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرّت السّاعات بسرعة، تجاوزت الثالثة ببضعة دقائق، كانت سميرة في الغرفة ترتّب شعرها وتصففها، الشيء الذي ضاعف من جمالها، كما أن عطرها انتشر في أرجاء المكان، بينما كان حبيبها جالسا في الطابق السفلي ينتظر نزولها، وأثناء ذلك كان يتحدّث مع صديقه "أنخيل" الذي كان يبدو قلقا ومنزعجا من أمر ما، الأمر الذي أثار فضول الشاب أمين الذي بادر إلى طرح السؤال عليه دون تردّد:

– ما الذي يشغل بالك يا "أنخيل"؟

احمرّ وجهه وظهر التلعثم على كلامه:

– لا شيء مهم، كنت فقط أفكّر فيما وقع لنا في ذلك المختبر المشؤوم.

– هل أنت متأكد ممّا تقول؟ إنّي أراك تتصرّف بغرابة
هذا المساء، هيّا أخبريني ما الذي يجري.

ألقي أنخيل نظرة سريعة على المكان قبل أن يجيب
بصوت منخفض:

– في الحقيقة لا أحب أن يلتقي كارلوس بالرئيس
المباشر، فدائماً تأتينا تعليمات صعبة يجب أن ننفذها،
وأنا لا أريد أن نقع في مشاكل من جديد، هذا كلّ ما
في الأمر.

– لا تقلق، كل شيء سيكون على ما يرام.

– هذا ما كنت أتمناه دائماً، لكن المصيبة وقعت حينما
وقعنا في يد الغرباء، وأنت تعرف بعض ما حدث لنا.

– أجل أعرف، لكن هذه المرّة سوف تكونون أكثر
حذراً.

في تلك اللحظة نزلت سميرة وجلست بالقرب من
حبيبها، وخلال ثوان دخل كارلوس إلى البهو حيث كان
يجلسون وصاح قائلاً:

– لقد حان موعد الذهاب حتى لا تتأخر، هيّا بنا !

خرج كارلوس من المنزل وسمع صوت الباب وهو يفتح، وعلى الفور تبعاه كل من الشاب أمين وسميرة. ركب كارلوس سيارته وجلس الشاب أمين بجانبه، بينما جلست سميرة في المقعد الخلفي. وبمجرد أن أغلقا الأبواب أدار كارلوس محرك السيارة وانطلق بسرعة متوسطة نحو مكان اللقاء.

ساد الصمت داخل السيارة لحظات قبل أن يتكلم كارلوس قائلاً:

– لقد مرّ وقت طويل شيئا ما عن آخر لقاء بالرئيس المباشر، وسوف يكون سعيدا بلقائكما.

قال الشاب أمين بهدوء:

– أتمنى ذلك من أعماق قلبي.

ثم تدخلت سميرة سائلة كارلوس:

– ومن عينه كرئيس مباشر لكم؟

ضحك كارلوس وردّ عليها:

– ومن قال لك أنه تمّ تعيينه، لقد تم اختياره من بين العديدين وذلك بناء على الخبرة، فمن يتوفر على خبرة

أكثر في التسيير هو من يتم اختياره كرئيس للحركة الشعبية التحررية في النهاية، وهو أيضا له رئيسه الذي يخضع لأوامره، ونحن لا نعلم كيف يمتد الهرم الرئاسي لهذه الحركات.

علقت سميرة بتعجب:

– هكذا، إذًا الاستحقاق هو المعيار الوحيد في الاختيار.

– أجل، الأمر أكيد.

فكر الشاب أمين لبرهة من الزمن ثم قال:

– وكم سنة يظل رئيسا للحركة التحررية؟

هذا يتوقف على الانجازات التي سوف يحققها خلال السنة الاولى من اختياره، فإذا لم يحقق شيئا فيتم عزله واختيار رئيس آخر، أما إذا تمكن من تحقيق أمر مهم في السنة الأولى فإنه سيظل في منصبه لخمس سنوات قد تمدد لنفس المدة مرة واحدة فقط شرط عدم قيامه بأمر يؤثر سلبا على الحركة الشعبية التحررية.

عادت سميرة وطرحت سؤالاً دون حرج وكأنها تريد أن تعرف أسرار هذه الحركات الشعبية التحررية:

– وكيف انضمت أنت إلى هذه الحركة؟ أو بمعنى آخر كيف عرفت بوجود هذه الحركات الشعبية؟

التزم كارلوس الصمت للحظات قبل أن يجيب بسؤال:

– ولماذا تريدون معرفة هذا الأمر؟

– مجرد فضول لا أكثر.

– حسناً، لقد تعرّفت على الرئيس المباشر عندما كنت أدرس بالجامعة، فهناك أقنعني بل اقتنعت بالانضمام لهم لكونهم يدافعون عن الشعوب.

– حسب قولك الأخير فهناك تعاون بين هذه الحركات في مختلف الدول، أليس كذلك؟

– طبعاً، هناك تعاون سرّي بين هذه الحركات الشعبية، فأغلب الشعوب إن لم نقل كلّها متضررة من أولئك الغرباء، فلا حيلة لنا سوى التضامن والتعاون فيما بيننا مادام هدفنا واحد.

– لكن ما الذي يجعلكم متأكدين أن الغرباء يسعون إلى تدمير الشعوب، ألا تشك ولو للحظة واحدة أنه يتم استغلالكم من طرف جهات سرية تعمل جاهدة على تحقيق أهدافها الخاصة بغض النظر عن أهدافها المعلنة والتي هي تحرير الشعوب؟

– لا أظن ذلك بتاتا، فلو كان الأمر كما تعتقدن لما وقفوا ضد الغرباء.

أحسّت سميرة أنها تضيّع الوقت في محاولة منها إقناعه بالحقيقة التي تعرفها فغيرت الموضوع بسؤال آخر:

– هل أنت متزوّج؟

– لا، ليس بعد.

ظل الثلاثة يتحدثون في هدوء وانسجام لدقائق معدودة إلى غاية وصولهم إلى الهدف.

أركن كارلوس السيّارة وصاح بنبرة ممزوجة بالفرح والسرور:

– وأخيرا وصلنا يا أصدقاء!

فُتحت أبواب السيارة تباعا ونزل الثلاثة منها، واتّجه كارلوس إلى المنزل الذي كان يقف أمام بابه رجلا ن ضخمان دون شعر، وألقى التحيّة عليهما فردّا عليه والابتسامة على وجههما كعلامة على أنهما يعرفانه منذ زمن طويل.

فتح أحد الحارسين الباب وطلب من الثلاثة الدخول بإشارة من يده.

وعلى الفور دخل الثلاثة إلى هناك، وكان السيد كارلوس في المقدمة يسير بخطى متثاقلة وهو يلتفت ذات اليمين وذات اليسار وكأنّه يبحث عن شيء ما، وتابع سيره لكن بخطى أسرع من السابق إلى أن وقف أمام باب أسود اللون وسطه زخرفة لتنينين يقذفان النار من فمهما.

طرق الباب ثلاث مرّات فسمع صوتا يدعوهم إلى الدّخول:

– تفضّلوا بالدخول يا أصدقاء !

فتح كارلوس الباب وولج إلى هناك وتبعاه كل من الشاب أمين وسميرة.

كان أليخاندررو جالسا على كرسي من الخشب الرفيع،
وأمامه مكتب كبير الحجم تناثرت عدّة أوراق على
جنباته، وخلفه خزانة متوسّطة الحجم تحتوي على كتب
قديمة وأخرى جديدة، وجانب المكتب أريكتان، الأولى
في اليمين حيث جلس كارلوس وأمين، والثانية على
اليسار جلست عليها سميرة.

ارتشف أليخاندررو الماء من كأس زجاجية كانت فوق
المكتب، ثم نطق وهو ينظر إلى الشاب أمين:

– لا شك أنك أنت أمين، أليس كذلك؟

– أجل، أنا هو بالضبط؟

– ومن تكون هذه السيّدة؟

تبسّمت سميرة وهي تنظر إلى أليخاندررو:

– أنا خطيبة أمين.

– إنّه لشرف كبير لي أن أتعرف عليكما اليوم.

– ماذا تريدون أن تشربوا؟

تدخل الشاب أمين وقال:

– لا داعي يا..

– اسمي أليخاندر، لكن لابد أن تشربوا شيئاً ما، فأنتم
ضيوفي اليوم.

ضغط أليخاندر على زر تحت المكتب، فدخل على
الغور رجل بلباس أبيض اللون:

– أنا في خدمتك يا سيدي، ماذا تريد؟

– أحضر ثلاثة كؤوس من الماء المعدني.

غادر الخادم المكان وتابع السيد "أليخاندر" حديثه
قائلاً:

– إذاً أنتما من أنقذ الأصدقاء من موت محقق، أليس
كذلك؟

أجاب كارلوس:

– أجل، إنهما هما، فلولاهما لما أفلتوا من قبضة
الغرياء.

– يسعدني سماع هذا، وأشكركما جزيل الشكر وأتمنى
أن تصيرا فردين من العائلة.

قال كارلوس:

– هذا ما أخبرتهما به يا سيدي، وأتمنى أن لا يرفضنا طلبنا هذا.

عطس كارلوس ثم استطرد قائلاً:

– أريد أن أخبرك بأمر في غاية الأهمية، وإن كان هذا الشيء صعب التصديق في البداية.

عقد أليخاندر حاجبية في متسائلاً:

– وما هو هذا الأمر يا كارلوس؟

في تلك اللحظة دخل الخادم وهو يحمل صينية فوق يده اليسرى، ووضع كؤوس الماء فوق طاولة زجاجية طويلة الحجم كانت تتوسط الأريكتين، ثم خرج من هناك بسرعة دون أن ينبس ببنت شفة.

عاد أليخاندر وأمر كارلوس بالتحدّث، والفضول ينبعث من عينيه السوداوان:

– هَيَّا تكلم يا كارلوس !

أحسّ كارلوس بالعرق يسيل من جبينه من شدّة القلق، وبسرعة جفّف عرقه بمنديل أخرجه من جيّبه وقال:

– لقد تمّ حقن أصدقائنا بمادة كيميائية فريدة من نوعها.

وما أن سمع أليخاندر و كلامه حتى قام من مكانه، وخطا خطوتين أو ثلاثة وتساءل في قلق وتوتر:

– هل حصل لهم أيّ مكروه؟

– لا، بل العكس تماما.

عقد أليخاندر و حاجبيه في تعجّب وقال:

– وما الذي حدث لهم بالضبط؟

– الأمر عجيب، لم يعودوا يحسّون بالجوع بتاتا.

– ما الذي تقصده؟

– انبي أعني أنّهم لم يعودوا في حاجة إلى تناول الطّعام يا سيدي.

ضحك أليخاندر و مستهزئا:

– هههه، إنه كلام فارغ، ولا أساس له من الصّحة !

آنذاك تدخلّ الشاب أمين قائلا:

– إنها الحقيقة يا أليخاندر، فأنا أيضا وخطيبي سميرة
لا نحتاج إلى تناول الأكل بعد الآن، إنها معجزة العلم.
سكت أليخاندر وأخذ يفكر بضعة ثوان قبل أن يعود
لل كلام متسانلا:

– ماذا يعني هذا؟

وقف السيد كارلوس واقترب من أليخاندر وقال:

– هذا يعني شيئا واحدا يا سيدي، وهو أن الغرباء قد
توصلوا في بحثهم السري إلى نتيجة مذهلة، ومن يدري
ما هي أبحاثهم الأخرى؟ وما الذي يخططون له في
المستقبل؟

علّق أليخاندر بقوله:

– إن الأمر عجيب حقًا، من كان يصدّق أن العلم قد
يصل إلى غاية هذه النقطة، يجب علي أن أهدأ وأفكر
في هدوء.

جلس السيد أليخاندر على الأريكة بالقرب من الشاب
أمين وتساءل:

– وما الهدف من كل هذا؟ ما الذي يرمون إليه هؤلاء
الغرباء؟

أجابت سميرة محاولة إبعادهم عن استهدافها هي
وخطيبتها أمين:

– في الحقيقة ليس لدينا أدنى فكرة، ربما مجرد بحث
كباقي الأبحاث.

نظر الشاب أمين إلى سميرة نظرة خاطفة وأدرك
الخطر الذي قد يقعان فيه فقال:

– الأمر ليس بهذه الخطورة التي تتصورها، فالتوقف
عن الأكل له إيجابيات، كما قد تكون له سلبيات أيضا،
أليس كذلك؟

أكدت سميرة قول خطيبتها:

– طبعاً، فالعلم ذو حدّين، ولكل شيء منافع وأضرار
على الصّحة البشرية.

حملق أليخاندرو إلى صديقه كارلوس وقال:

– ما رأيك أنت يا كارلوس؟

– أعتقد أن في الأمر سرّ ما يجب معرفته، وأظن أننا لن نستطيع سبر أغواره، لهذا يتعين علينا الآن العمل على القيام بإعداد عينات من نفس المادة الكيميائية، والقيام بتوزيعها على جميع الحركات الشعبية التحررية كي يستفيد منها جميع الأعضاء المنتمين إليها في جميع أنحاء العالم.

– إنها فكرة رائعة، لكن من يستطيع مساعدتنا في هذا المجال؟

في تلك اللحظة انتابت سميرة قشعريرة من شدة الخوف الذي أصابها، فقد أدركت أنها ستضطر للعمل مع جماعة تمقتها من أعماق قلبها، ولن يكون لها خيار آخر، وخاصة أنها لم تستطع بعد إقناع حبيبها بضرورة الرجوع إلى الجزيرة.

فكّر كارلوس ملياً قبل أن يجيب على تساؤل رئيسه:

– طبعاً، سوف يساعدنا في أبحاثنا كل من الطبيعيين الباحثين أمين وسميرة.

– حقاً، هل يستطيعان فعل ذلك؟

– أظن ذلك، وسيساعدكم بعض الباحثين من معارفنا
الخاصة، هل أتما موافقان على مساعدتنا؟

تدخل السيد أليخاندر ووقال:

– سوف تترك لهما مهلة للتفكير في الأمر، إنني
أدعوها لحضور حفلة عيد ميلادي الخميس المقبل، ما
رأيكما؟

نظرت سميرة إلى حبيبها وكأنها ترمي إلى شيء ما
وقالت:

– حسنا، سوف نفكر في الأمر.

– أجل أجل، سوف نحضر الحفل ونخبرك آنذاك
بقرارنا.

عاد السيد أليخاندر للجلوس على الكرسي بالقرب من
مكتبه وقال:

– يمكنكم الانصراف الآن، ولقاؤنا سوف يتجدد مساء
يوم الخميس إن شاء الله، وأتمنى سماع قرار مفرح
في يوم عيد ميلادي.

– حسنا، إلى اللقاء يا سيدي !

قام كل من الشاب أمين وخصيئته سميرة من مكانهما وألقيا تحية الوداع في آن واحد:

– إلى اللقاء يا أليخاندرؤ!

غادر الثلاثة المكان والسيد كارلوس يتقدمهم بخطى سريعة، وما إن وصل إلى باب المنزل، ألقى التحية على الحارسين اللذين بادلاه التحية مع ابتسامة على شفئتهما، ثم فتح كارلوس باب سيارته وولج إليها، وتبعاه فوراً صديقاه الجديدان اللذان جلسا بداخل السيارة والقلق تسربّ إلى قلبهما بعد هذا اللقاء. أدار كارلوس محركّ السيارة وانطلق بها عائدين من حيث أتوا بسرعة متوسطة كما في السابق، لكن هذه المرة كان الصمت سيّد الموقف بدون منازع.

وبمجرد أن غادر الثلاثة، أخرج أليخاندرؤ هاتفه النقال وركب رقما واتّصل به:

– آلو! مرحبا بك يا رئيس! أريد لقاءك الآن وبشكل مستعجل للغاية.

– أتمنى أن يكون الأمر كذلك، فأنت تعلم أنني أكره
إضاعة الوقت في أمور تافهة، هل فهمت؟

– أجل سيدي، أعرف ذلك، لكن هذه المرة الأمر
يستحق أكثر من أي وقت مضى، وأنا متأكد أنك لن
تدم عند لقائي.

– حسنا، سوف نلتقي لكن سوف أتصل بك خلال
دقائق كي أخبرك بمكان لقائنا، ولا تخبر أحدا ولتأت
بمفردك كالعادة، هل هذا مفهوم؟

– نعم يا سيدي! لا تقلق، سوف أكون عند حسن ظنك.

أنهى أليخاندرو المكالمة وعلامات التوتر ظاهرة عليه،
ربما أحسّ بخطورة ما، وخاصة بعدما بلغ إلى علمه
نوعا فريدا من الأبحاث التي يقوم بها الغرباء، أو لعلّه
خاف من ردّة فعل رئيسه، الذي سوف يوبّخه على
عدم القدرة على اكتشاف الأمر في بدايته عندما كان
مجرّد مشروع، لكن ما الذي يمكنه أن يفعله الشخص
في مواجهة أشخاص يتوفرون على وسائل تكنولوجيا
هائلة لم يسبق أن تم الإعلان عنها، ولو عرفوا بها،
كيف لهم أن يصنعوا مثلها، كما هو الأمر مع الصّحون

الطائرة التي لطالما شاهدها الآلاف من الأفراد في شتى أنحاء العالم، لكن ظلّ الأمر مجردّ كلام غير مصدّق، وتمّ تكذيبه سواء من طرف أغلب الناس أو حتى الحكومات، وخاصة في غياب دليل قاطع على وجودها فعلا، لكن ربما سوف يتأكدون من ذلك بعد فوات الأوان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مرّت ثلاثة أيّام بسرعة البرق، صارت الأيام تجري كالساعات، الجميع يسابق الزمن، فكما يقال الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك، لذلك كانت السيدة ملاك تعمل جاهدة على الخروج من الجزيرة للذهاب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وخلال اليومين السابقين كانت تقوم باتّصالات سرّية بأصدقاء عسكريين كى يساعدها، وفي الأخير تم وضع خطة مغادرتها هي ووالد الشاب أمين، وبعض الخبراء في مجال الاتّصالات.

كانت السيّدة ملاك في المنزل برفقة زوجها عبد الواحد، والسّاعة تشير إلى التاسعة ليلا، كانا جالسين على الأريكة يتبادلان الحديث بكلّ هدوء:

– لقد أخبرتُ أخي بمكان وساعة اللقاء، أتمنى أن تحقّقا الهدف دون آية مشاكل، خصوصا أن الوضع الراهن لا يسمح بارتكاب أخطاء جسيمة، ولا عرضنا أنفسنا لعقوبات عسكرية نحن في غنى عنها.

– الأمر لا يستدعي كلّ هذا القلق يا عزيزي، فرملائي في العسكر أكدوا لي أن الأمر سيظل سريًّا للغاية، ولن يعرف بالأمر أحد من المسؤولين الإداريين، إلا إذا اقتضت الضرورة ذلك ولم يكن أمامنا خيار آخر، هل فهمت؟

– نعم، لكن أحيانا يراودني شعور غريب، ولا أحد يعرف ما يخبّئه لنا القدر، فالمستقبل مليء بالمفاجآت غير السّارة.

حملت السيدة ملاك كتابا من طاولة زجاجية كانت أمامها وقالت:

– سوف أقرأ الصفحات القليلة المتبقية كي أنهى الجزء الأول من هذا الكتاب.

تبسّم عبد الواحد وقال:

– آتني أراك مهتمة كثيرا بهذا الكتاب، "عالم لا يصدق"
عنوان مثير، أليس كذلك؟

فتحت ملاك الكتاب وردت بابتسامة عريضة:

– طبعاً، إنها سلسلة للخيال العلمي، والآن سأحاول
قراءة القصة الأخيرة منه، فموعد مغادرتي سيكون
خلال ثلاث ساعات من الآن.

نظر عبد الواحد إلى ساعته الإلكترونية نظرة سريعة
وقال:

– فعلاً، لقد اقترب الموعد، أتمنى لكما من قلبي
التوفيق، لكن كني حذرة في ذلك العالم المليء
بالأشرار.

أنهت السيدة ملاك كلامها قائلة:

– لا تقلق، لن أكون بمفردي هناك.

وضع عبد الواحد سماعات قارئ الموسيقى واتكأ على
ظهره وأغمض عينيه مستمتعاً بالأغاني.

غلب النوم عبد الواحد، ولم يحس بسرعة مرور الوقت،
وفجأة أحس بجسمه يهتز:

– هيا انهض يا عزيزي ! لقد حان موعد مغادرتي.

فتح عبد الواحد عينيه بصعوبة وقال:

– ماذا تريدین؟

وما أن نطق تلك الكلمات حتى عاد إليه التركيز وتابع قائلاً:

– آه، لقد تذكرت! أنا آسف !

كانت ملاك تحمل على كتفها حقيبة سوداء اللون، مزينة بورود بيضاء صغيرة الحجم، انحنت للأسفل قليلاً وقبّلت زوجها على خدّه قائلة:

– إلى اللقاء يا عزيزي !

– إلى اللقاء يا عزيزتي!

توجّهت ملاك صوب الباب وفتحته، ثم خرجت من المنزل وأغلقت الباب من ورائها، بينما ظل زوجها يراقبها من النافذة إلى غاية اختفاء سيارتها، فذهب إلى غرفة النوم واستلقى على السرير ووضع سماعات قارئ الموسيقى من جديد، وأخذ يردّد أغنية وهو

يحرّك رأسه بانسجام مع الموسيقى إلى أن غلبه النوم
مجدداً.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصلت ملاك إلى مكان الموعد، وخلال دقائق التحق
بها السيد جمال الذي سلّم عليها، وفي الحين دخلا إلى
هناك بعد أن مرّاً من حاجز للمراقبة العسكرية.

كان المكان مضيئاً بمصايح تعمل بالطاقة الشمسية،
وفي الباب كان هناك رجلان في استقبالهما، الأول
اسمه عبد الحميد، متوسط الطول، ذو شعر قصير
أسود، في الثلاثينيات من عمره، والثاني يدعى هيثم،
طويل القامة، شعره أشقر، تجاوز الخمسين من
عمره، كلاهما متخصص في الاتصالات، كانا يلبسان زيّاً
خاصاً لونه أزرق داكن، يحمل في الخلف علامة ترمز
للهايف صفراء اللون. ألقيا التحية على السيدة ملاك
التي عرفتهم بالسيد جمال، وبعدها أخذوا يسيرون في
رواق بخطى سريعة شيئاً ما، دون أن ينبسوا بكلمة
واحدة، إلى غاية أن وصلوا أمام مصعد ولجوه، وكان
التوتر واضح على السيد جمال، فنطق عبد الحميد:

– لا تقلق يا جمال، سوف تتّجه إلى الطابق تحت أرضي، وهناك ينتظرنا أصدقاؤنا لمغادرة الجزيرة.

ضغط هيثم على زر فانغلق باب المصعد وأخذ بالنزول لثوابي معدودة، ثم توقّف وانفتح الباب، فخرج الأربعة من هناك، وتابعوا السير بضعة خطوات إلى أن وصلوا إلى باب عال وضخم، ضغط عبد الحميد على مجموعة من الأرقام بسرعة فانفتح الباب، فدعاهم هيثم إلى الدخول.

دخل عبد الحميد وتبعه الآخرون على الفور، كان المكان فسيحا جدًّا، وفي الوسط صحن طائر مختلف تماما عن الصحن الطائر الذي سافر فيه الشاب أمين، لقد كان صحنًا طائرا عسكريا ضخما، كان يتوفر على عدّة أماكن لإطلاق صواريخ من حجم صغير، لكن قوتها ومحتواها لا يعلم به أحد سوى الخبراء العسكريين، الشيء الذي جعل جمال يشعر بالدهشة عند رؤيته لذلك الصحن الطائر.

ابتسم هيثم ذو الوجه البشوش وقال:

– هذه هي المركبة الفضائية التي ستحملنا إلى العالم
الخارجي !

ضحك عبد الحميد وصاح:

– هل أنتم مستعدّون لمغادرة الجزيرة يا أصدقاء؟

أجاب السيد جمال:

– أجل، أنا مستعد.

أكدت ملاك نفس الموقف بقولها:

– أنا أيضا على أتم الاستعداد.

أشار عبد الحميد بيده قائلا:

– إذا قفا وسط تلك الدائرة تحت المركبة.

نقذ جمال وملاك الأمر دون تردد، ووقفوا وسط تلك
الدائرة التي تتبعث من المركبة، فانبعث ضوء قويّ من
الأعلى باتجاههما، فأحسّا بشيء يجذبهما بقوة نحو
الأعلى، فأخذا يصعدان وكأنهما داخل مصعد آلي، إلى
أن وجدا نفسيهما داخل المركبة، وطبعا كانت ملاك
معتادة على الأمر، بينما كان شينا غريبا بالنسبة لجمال
الذي شعر في البداية بقليل من الخوف ممزوج

بالدهشة، لكن سرعان ما تغلب على إحساسه بالخوف، خصوصا أنه كان برفقة ملاك.

وخلال ثوان قليلة وجد جمال وملاك نفسيهما داخل المركبة الفضائية العسكرية، وفي الحين تبعهما كل من عبد الحميد وهيثم الخبيرين في الاتصالات.

جلس كل واحد منهم في مقعده، وفي منصّة القيادة كان يجلس رجلان بزّي خاص، حيث قام أحدهما بالضغط على زر برتقالي، فانغلق باب المركبة الفضائية بشكل أفقي، ثم ضغط بعدها على عدّة أزرار ذات أشكال وألوان مختلفة، فأخذت المركبة ترتفع بشكل عمودي، إلى أن وصلت إلى سطح البناية وانطلقت بسرعة هائلة دون أن تصدر أي صوت، باتجاه ولاية كارولينا الشمالية بالولايات المتحدة الأمريكية، وبالضبط في جبال الأبالاش حيث توقّفت المركبة بعد ثوان من انطلاق رحلتها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الساعة تشير إلى الواحدة وبضعة دقائق، وحينها نزل جمال وملاك، وبعدهما عبد الحميد وهيثم بنفس

الطريقة حينما سعدوا إلى المركبة، وحينها اختفى الصحن الطائر من السماء عاندا من حيث أتى.

أخذ الأربعة يمشون على الأقدام، وكان هيثم يحمل في يده حقيبة سوداء اللون، وظلوا على ذلك الحال لمدة نصف ساعة تقريبا إلى غاية وصولهم إلى منزل وسط الغابة.

إنحنى عبد الحميد وأخرج مفتاحا من تحت صخرة توجد بالقرب من المنزل، ففتح الباب، ثم قال:

– سوف نقضى الليلة هنا، وفي الصباح سنرى ما يجب فعله.

دخل عبد الحميد وتبعه على التوالي كل من هيثم وجمال وملاك. كان المنزل كبير الحجم من طابقين اثنين، كان مصنوعا من الخشب، في الواجهة ثلاث نوافذ متوسطة الحجم، وفي الطابق السفلي على اليمين مرآب كبير الحجم.

أضاء عبد الحميد المكان برفع قاطع التيار الرئيسي، لقد كان المنزل نظيفا، فلا وجود لأثر الغبار على الأثاث، وكل شيء منظم في مكانه، لا بد أنه كان

هناك شخص أو أشخاص يقومون بتنظيفه باستمرار.
ففي الطابق السفلي غرفة كبيرة للنوم وأخرى
للجلوس، إضافة إلى مطبخ من الحجم المتوسط
وحمام. أما الطابق العلوي فيتكون من أربع غرف
كبيرة للنوم وحمام.

ألقي هيثم نظرة سريعة على الغرفة بالطابق السفلي
دون أن يضع حقيبته وكأنها تحتوي على شيء ذي
أهمية كبرى وقال:

– يمكنك أن تستريحى يا ملاك فى هذه الغرفة، فكل
شيء هنا على ما يرام.

– شكرا لك يا هيثم! تصبحون على خيرا!

ردّ جمال عليها قائلا:

– أحلام جميلة ونوم هنيء يا ملاك!

ثم تابع حديثه متسانلا:

– وأين سننام نحن الثلاثة؟

تبسم هيثم وأجابته:

– في الطابق العلوي، هيا بنا لنصعد!

صعد الثلاثة بخطى متساوية إلى أن وصلوا إلى الرواق،
فأشار عبد الحميد بيده قائلاً:

– في نهاية الرواق توجد الغرفة حيث ستنام، لنتم في
هدوء وسلام!

– وأتما أيضاً!

وما أن خطا جمال خطوتين حتى صاح هيثم:

– الحمّام في الجانب الأيمن المقابل لغرفتك يا جمال!
أدار جمال رأسه وردّ بصوت مرتفع:

– شكراً لك.

ثم تابع سيره في ذلك الممرّ بخطى بطيئة وكلّه ثقة
في النفس، فوقف أمام باب الغرفة لحظة قبل أن
يفتحه، متأملاً الزخرفة التي تم نقشها عليها، ثم أدار
مقبض الباب وفتح الباب قليلاً، وأخذ ينظر إلى الغرفة
ويتأمل باندهاش النظام الذي كانت عليه، وبعدها ولج
وأغلق الباب وراءه. خلع الحذاء والجوارب واتعل

نعلا، وقصد الحمام ليغسل أطرافه، وبسرعة عاد للغرفة واستلقى على السرير، وسافر بفكره إلى الماضي حينما أنجبت زوجته ابنه الوحيد أمين، وتذكر مسيرته الدراسية منذ أن كان طفلا صغيرا، لكن سرعان ما أغمض عينيه وغطاً في نوم عميق.

ولج عبد الحميد وهيثم إلى غرفتهما اللتين سبق وأن ناما فيها في مناسبات عدة في الماضي، فالمنزل لم يكن غريبا عنهما، ولطالما أقاما به عندما أوكلت إليهما مهمة ما في الماضي. لم يتأخرا هما أيضا في النوم فناما بعدما تأكدا من أن المكان آمن، وذلك بعد أن ألقيا نظرة عبر نافذة غرفتهما، أما هيثم فكان أكثر شكا حيث خباً حقيقته تحت السرير كتدبير احتياطي لما قد يمكن أن يحدث.

أمّا ملاك فتأخرت شيئا ما في النوم، نظرا لشعورها بقليل من الخوف، بسبب وجودها بمفردها وبعبدة عن زوجها، وهو الشعور الذي سرعان ما تغلبت عليه، حينما أدركت أنها ليست لوحدها في مهمة لإنقاذ الشاب أمين، وخاصة أنها تمكنت من مغادرة الجزيرة دون

مشاكل تذكر على الأقل خلال هذا اليوم، ومن يدري ما
تحمله الأيام القادمة من مفاجآت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حلّ يوم الخميس، كانت السّماء زرقاء اللون والشمس
تنشر أشعتها الذهبية التي لامست وجه ملاك، ففتحت
عينها وغادرت الفراش نحو الحمّام، وسرعان ما دخلت
إلى المطبخ لإعداد وجبة الفطور، وخلال نصف ساعة
استيقظ كل من جمال وهيثم وعبد الحميد، والتحقوا
بغرفة الجلوس بالطابق السفلي لتناول الفطور، وأثناء
ذلك أخذوا يتبادلون أطراف الحديث، وكلهم حيوية
ونشاط، حيث بادر عبد الحميد بالقول وهو يرتشف
القهوة:

– لقد نسيت أن أخبركم أنني تمكنت من خلال
اتصالاتي الخاصة، من الحصول على رقم هاتف
الباحثة سميرة.

نظرت السيدة ملاك إليه وقالت:

– هذا خبر جيّد.

أخذ هيثم قطعة من الحلوى وتدخل قائلاً:

– أتمنى أن تتمكن من تحديد مكان تواجدها باستعمال جهاز التعقب، هذا طبعاً إن كان هاتفها مشغلاً.

تابع جمال حديث هيثم وسأله:

– ماذا لو كان هاتفها غير مشغول؟

– آنذاك سوف نستعمل تقنية حديثة وسريّة، والتي ستمكننا من إرسال نص رسالة على شاشة هاتفها، وأتمنى أن تقرأها قبل أن تختفي.

عاد جمال إلى التساؤل مجدداً:

– وكـم ستظل الرسالة النصية ظاهرة على شاشة هاتفها؟

– حوالي ساعتين من الزمن.

استمعت ملاك جيداً للحوار وعلمت قائلة:

– أعتقد أن هاتفها غير مشغول، فلو كان كذلك لقام فريق الاستخبارات المدنية من تحديد مكانها، أليس كذلك؟

حكّ عبد الحميد رأسه وقال:

– أنا أوافقك الرأي، لكن ربما أطفأته حينما هربوا من أمريكا، ومن المحتمل أن تكون قد أعادت تشغيله فيما بعد، وفي كل الحالات سوف نحاول بجميع الطرق دون إهمال أي احتمال.

ارتشف عبد الحميد القهوة ثم تابع كلامه:

– ما رأيكم بتركيب جهاز التعقب والاتصال في هذا المنزل؟

أنهى هيثم شرب القهوة وقام من مكانه وقال:

– أظن أن الفكرة جيّدة، فالمكان مناسب للقيام بمهمتنا حتى نظل سرّيةً وبعيدةً عن الأنظار، ما رأيك يا ملاك؟

– هذا بالضبط ما كنت أريد قوله، فالمكان مناسب جدًّا، ولا داعي للقيام بالأمر في المختبر وما يتخلله ذلك من خطر اكتشاف أمرنا.

وافق جمال على ما قالته ملاك:

– أنتِ على صواب، هنا سنكون بعيدين عن الشبهات.

عاد هيثم للجلوس مجددًا وأردف قائلاً:

– يجب أن نقوم بإعداد كل ما يلزم من تجهيزات الاتصالات حتى نقوم بالمحاولات هذا المساء.

ختم عبد الحميد كلامه قائلا:

– إذا لنبدأ بالعمل على الفور، فليس أمامنا الكثير من الوقت لنضعه.

وأنهى هيثم بقوله:

– هيا بنا يا صديقي !

صعد هيثم للطابق العلوي وأخرج حقيبته السوداء من تحت السرير، ثم نزل إلى الطابق السفلي وهو يردد أغنية قارئة الفنجان للعندليب الأسمر عبد الحليم حافظ، فقد كان يعشق أغاني هذا الفنان المصري الشهير منذ أن كان طفلا صغيرا.

ولج هيثم لغرفة الجلوس وكان في انتظاره صديقه عبد الحميد الذي طلب منه فتح الحقيبة وإخراج كل الأجهزة التي سوف يحتاجان إليها، فنقذ هيثم طلبه على الفور وأخرج كل ما كان بداخل الحقيبة من أجهزة غريبة ذات أحجام وأشكال مختلفة، إضافة إلى العديد

من الأسلاك الكهربائية، وبدأ الخيران بتركيب تلك الأجهزة بتعاون وتفاهم كبيرين، فتارة تراهم يسرعون، وتارة أخرى تراهم يفكرون قبل الإقدام على الخطوة التالية، بينما كان جمال وملاك يتابعان ما يقومان به في صمت تام، ولم يتجرأ أي منهما على التفوه بأي كلمة حتى لا يزعجاهما في القيام بالمهمة بكل إتقان.

ظل هيثم وصديقه عبد الحميد يعملان على إيصال الأجهزة كما يجب، وبقي جمال يراقبها عن كثب محاولاً فهم ما يقومان به، لكن هيهات أن يفهم ذلك، فكل واحد منا له تخصصه والمجال الذي يتقنه. في حين ذهبت ملاك إلى المطبخ كي تعد وجبة الغداء، فرغم محاولاتها في البداية فهم ما يقوم به الخيران في الاتصالات، لكنها وجدت نفسها أمام علم لا يفهمه سوى أصحاب التخصص، فانتبهت سريعاً لذلك فغادرت غرفة الجلوس وأخذت تعد الطعام بكل سرور بعدما غسلت أواني وجبة الفطور.

هكذا عمل أصدقاؤنا بجدّ على تركيب أجهزة الاتصالات
على أمل تحديد مكان سميرة أو على الأقل إرسال
رسالة نصية إليها.

كان أمل جمال كبيرا لمعرفة أي خبر عن ابنه أمين
وتمنى من أعماق قلبه أن يكون بخير ولم يلحقه أي
أذى من أولئك الأشرار، ولعلّه لم يتبق سوى ساعات
لمعرفة الأخبار عنه وعن حبيبته، فالوقت يمر بسرعة
بطيئة في مثل هذه الأحوال، وليس أمامه أي خيار
سوى الصبر والانتظار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت السّاعة تشير إلى الخامسة مساءً، جلس كارلوس
في البهو على الأريكة بجانب الأيمن للسيد أنخيل،
ينتظر نزول كل من الشاب أمين وخطيبته سميرة،
وحينها بادر أنخيل إلى الحديث بنبرة يتخللها التردّد:

– هل تريدني أن أرافكك إلى حفلة عيد الميلاد؟

نظر كارلوس إلى صديقه نظرة استهزائية وسأله:

– هل تسلّمت دعوة لحضور الحفلة وأنا لم أعلم؟

– لا لا، لقد اعتقدت أنك ستحتاجني في أمر ما.
– لا تتعجّل الأمور، فعندما أحتاجك سوف أخبرك على
الفور، فقط كن مستعدًا لأي طارئ.

– حسنا، كما تشاء يا كارلوس !

بمجرد أن أنهى أنخيل كلامه، سُمع صوت الأقدام آتية
من الدرج، وحينها ظهر كل من الشاب أمين وحيبته
سميرة اللذان ألقيا التحية وظلا واقفين منتظران ردّة
فعل صديقهما كارلوس.

على الفور قام كارلوس من مكانه وسألهما:

– هل أتما على استعداد؟

أجاب أمين وخطيبته في آن واحد:

– نعم، إننا مستعدّان.

– إذًا هيا بنا كي لا تتأخر عن الموعد.

– هيا بنا.

غادر الثلاثة المنزل وكل منهم منشغل البال، فالشاب
أمين وحيبته سميرة مضطران للإفصاح عن قرارهما

في هذا اليوم، ولا مجال لهما في تأجيل الأمر ولا سوف يشيران غضب أليخاندرو الذي كان يبدو من أول لقاء بالصّرامة في تعامله وحديثه، بينما كان كارلوس خائفا من رفضهما للمساعدة وما قد يترتب ذلك من نتائج على علاقته بهما وبرئيسه المباشر، وهو في غنى عن مزيد من المشاكل.

انطلقت السيّارة باتجاه هدفها، جلس الشاب أمين بالجانب الأيمن لكارلوس، بينما جلست سميرة في المقعد الخلفي للسيارة. ساد الصّمت لحظات معدودة قبل أن يكسّره كارلوس متسائلا:

– هل أحضرت معكم هدية للسيد أليخاندرو؟

ضحكت سميرة وأجابته:

– طبعاً، فلا يعقل أن نحضر لحفلة عيد ميلاد دون

هدية، فالأمر غير مقبول بتاتا، أليس كذلك؟

ابتسم كارلوس ونظر نظرة خاطفة خلفه حيث تجلس

سميرة ثم قال:

– نعم، الهدية رمز يعبر عن الحب والتقدير الذي نكته للشخص، وعيد الميلاد مناسبة رائعة للتعبير عن هذا الحب.

تابع أمين حديثهما باهتمام كامل ثم علّق بكل هدوء:

– أنا أعتقد أن تلبية دعوة الحضور لحفلة عيد الميلاد في حدّ ذاتها عربون محبّة للشخص، وخصوصا إذا كان المدعو لا يملك المال لشراء الهدية، فلا يجب نسيان مثل هذه الحالات وإن كانت قليلة فهي موجودة.

ضحك كارلوس قليلا قبل أن يعلّق على كلام أمين:

– ربما هذا صحيح، لكن من في هذا الزمان لا يملك ثمن شراء هدية رمزية؟

ظلّ تساؤل كارلوس مطروحا دون إجابة، فقد تم تجاهله من طرف الشاب أمين وخطيبته سميرة وفضلا التزام الصمت بدل الدخول في نقاشات لا تنتهي، فأحيانا الصمت خير جواب، وهو أمر يعرفه الحكماء والمفكرون. وبذلك تابع كارلوس سياقة السيارة باتجاه منزل رئيسه المباشر.

وبعد مرور فترة ليست بالطويلة وصلوا إلى هدفهم، وأركن كارلوس السيّارة بجانب المنزل وخرجوا منها واحدا تلو الآخر، وكارلوس في المقدمة يخطو خطوات ثابتة، وحينها ألقى التحية على الحارسين اللذين سمحوا له بالدخول وخلفه كل من أمين وسميرة.

دخل الثلاثة إلى المنزل وعبروا الرواق بخطوات بطيئة إلى غاية وصولهم إلى نهايته حيث يوجد باب ضخم يفضي إلى بيت فسيح مليء بالمدعوين، ولج كارلوس إلى هناك وعينه تفحص المكان بدقة بحثا عن أثر رئيسه المباشر، والذي سرعان ما شاهده برفقة رجلين طويلي القامة، اقترب منهم بخطى متردّدة، وسرعان ما انتبه أليخاندرولقدومه واستأذن من الرجلين وتوجّه إليه مسلّما عليه وعلى ضيفيه، ورحّب بهما ترحيبا كبيرا طالبا منهما أخذ ما تشتهييه نفسيهما، وحينذاك اقتربت سميرة أكثر من أليخاندرولقدّمت له الهدية:

– تفضل يا أليخاندرولعيد ميلاد سعيد بتحقيق أمنياتك هذه السنة.

– شكرا لكما على حضوركما، وأتمنى أن تصيرا فردين من العائلة.

وقتذاك شعر أمين بضخامة المكان الذي يقف فيه، وتفاجأ بجمالته وزخرفة سقفه والزرابى المفروشة، والأنواع الكثيرة من الحلويات والمشروبات، فجأة سمع أليخاندر يوجه له الكلام قائلا:

– يبدو أن المكان أعجبك يا أمين !

– نعم، إنه رائع.

– أريد الحديث معكم بعيدا عن هذا الجمع، لذا أدعوكم إلى مرافقتي لغرفتي.

– حسنا، كما تشاء.

اتّجه أليخاندر على الفور يسارا حيث يوجد باب خشبي بني اللون، وأدار المقبض وفتح الباب، ثم دخل وتبعه الشاب أمين وسميرة وكارلوس.

كان المكان عبارة عن غرفة متوسطة الحجم، وفي وسطها طاولة مستطيلة حولها ستة كراسي. جلس

أليخاندرى على أأء الكراسى وءءا البقىة للءلوس
قائلا:

– اءلسوا من فضلكم !

ءلس الشاب أمىن وبالقرء منه ءلسء ءطىبته سمىرة،
فى ءىن قعد كارلوس على الكرسى المءابل لهما.
وأناءك بدأ أليخانءرو الءءىء قائلا:

– كءء أفصّل أن أطلب ما لءّ من الطّعام والشراب فى
مءل هذه المناسبات، لكئنى أعلم أن هذا الأمر صار من
الماضى بالنسبة لكما، لذا سأذهب مباشرة إلى صلب
الموضوع.

ءءلّ الشاب أمىن وقال:

– أءل، مىمكنك الءءىء كما ترىء.

– هل وافءءما على ءقءىم مساعءءكما لنا؟

إءفءء سمىرة إلى ءطىبها أمىن وقالت:

– لءء فكّرنا ملّىا فى الأمر وقرّرنا أن نءءّم ىء
المساعءة ءسب الإمكانيات المءاحة لءىنا.

– أجل، سوف نبذل كل ما في استطاعتنا للقيام بكل ما تسعون إليه، لكن لا بدّ أن أحيطكم علماً أن إعداد العينات المطلوبة واستخلاص المادة الكيميائية التي سوف نستخدمها في الحقن يتطلّب الحصول على مواد نادرة.

اتّسعت عيني أليخاندرى عند سماع كلام الشاب أمين وتساءل بنبرة حادة:

– وأين سنجد هذه المواد النادرة؟

ساد صمت رهيب لثوانى وتبادل الأطراف فيما بينهم نظرات غريبة، وفجأة وقفت سميرة من مكانها وقالت:

– فى الولايات المتحدة الأمريكية.

نزل الجواب كالصاعقة على سمع كل من كارلوس وأليخاندرى ، بينما شعر أمين بأن الأمور تسير نحو التعقيد وبدأ يفكر عن مخرج للمأزق، لكن يبدو أن سميرة كانت نوعاً ما ذكية، فتابعت كلامها:

– أنا أعرف أصدقاء هناك يمكنهم تزويدي بما نحتاجه من تلك المواد النادرة.

عاد الهدوء النسبي إلى أليخاندرو متسانلا:

– ألا يمكن الحصول على هذه المواد من دولة أخرى؟

في تلك اللحظة تدخّل الشاب أمين وقال:

– ليس لنا خيار آخر، فتلك المواد لا يمكن العثور عليها

في أي مكان آخر سوى في الولايات المتحدة

الأمريكية.

تعجّب كارلوس ونطق:

– يبدو أن الأمر غريب، أريد أن أعرف لماذا لا توجد تلك

المواد في دولة أخرى غير الولايات المتحدة الأمريكية؟

تدخلت سميرة بدهاء قائلة:

– بكلّ بساطة تلك المواد تم إنتاجها من طرف خبراء

في عدّة تخصصات بعد سنوات عديدة من الأبحاث

السريّة، هل صار الأمر واضحاً؟

أكّد أمين قولها قائلاً:

– هذا صحيح، الأمر نتاج لأبحاث دامت سنين طويلة،

ولهذا قلت في البداية أننا سنبدل كلّ ما في استطاعتنا،

وأتمنى أن تتمكّن من إنتاج العيّنات المطلوبة، لكن ذلك يتطلّب منا وقتا ليس بالقصير.

وقف أليخاندررو وخطى خطوتين في الغرفة واقترّب من سميرة وهو يضع يديه في جيب سرواله، فكّر لمهلة صغيرة والكلّ ينتظر ما الذي سوف يتفوّه به:

– إذا يجب عليكِ أنتِ وخطيبك السّفر إلى "سان أنطونيو" بالولايات المتحدة الأمريكية، وهناك ستتضمنان إلى فريق أبحاث سرّي تابع لنا.

جاء القرار سريعا، والفكرة أعجبت سميرة التي سرعان ما قالت دون تردّد:

– كما تشاء، سنكون رهن إشارتهم.

تعجّب أمين من ردّة فعل سميرة، لكن وجد نفسه مضطرا لقبول القرار، فتساءل:

– وكيف سنذهب إلى هناك؟ أليس هناك خطر علينا؟

كان الجواب جاهزا عند أليخاندررو:

– سوف تحصلان على جواز سفر وتأشيرة بشخصية جديدة، إضافة إلى تذكرة سفر عبر الطائرة، فلا مجال

للخوف بتاتا، سوف يزودكما كارلوس بكل المعلومات
للوصول إلى المكان المحدد، فلا داعي للقلق، هل
فهمتما؟

ابتسمت سميرة ولم يعلم أحد بمدى فرحتها في تلك
اللحظة، فجاء جوابها سريعا دون تأخير:
_ طبعاً، الأمر واضح كالشمس.

عادت سميرة للجلوس بالقرب من خطيبها وأخذ
كارلوس ينظر إليهما وكأنه يريد قول شيء ما، وحينها
تابع أليخاندرو كلامه:

_ إذا سنبقى على اتصال فيما بيننا، وسيكون كارلوس
صلة وصل بيننا. أمّا الآن لنعد إلى مكان الاحتفال
ونستمتع بوقتنا.

خرج الأربعة من تلك الغرفة فوجدوا العديد من
الحاضرين؛ فمنهم من كان يأكل الحلوى ويتناول
المشروبات، ومنهم من يرقص ويقهقه من شدة الفرح،
وهناك فئة ثالثة تتحاور فيما بينها بصوت خافت وكانهم
يخططون لأمر سرّي. ابتعد أليخاندرو والتحق بإحدى
المجموعات هناك، كما استأذن كارلوس من الشاب

أمين وخطيبته سميرة، وتركهما بمفردهما بعدما طلب
منهما أن يستمتعا بسماع الموسيقى التي كانت تملأ
المكان.

بمجرد أن أصبحا بمفردهما، استغلّ الشاب أمين
الفرصة، حيث نظر إلى خطيبته شذرا وقال:

– لم يكن ذلك ما اتّفقنا عليه، ما الذي أصابك؟

– إهدأ يا عزيزي، كنت أحاول إنقاذك من الورطة التي
وضعتنا فيها، لم يكن أمامي أي خيار آخر، أنت لا تعرف
الخطر الذي يهدّدنا.

– لقد سنمت من تكرارك لهذا الكلام، الخطر هو أن
نعود إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

– أعدك أن أوضح لك الأمر في الوقت المناسب، لكن
المهم الآن هو العودة إلى أمريكا، هل فهمت؟

– حسنا، سوف أعرف الحقيقة منك أو من غيرك، لكن
أتمنى أن لا أكون قد ارتكبت حماقة بالموافقة على
قرارك بالعودة إلى هناك.

– لا تقلق يا عزيزي! انتظرنى هنا، سوف أذهب إلى
الحمام وأعود إليك لتركيب، هل أنت موافق؟
– نعم، لا تتأخري.

ألفت سميرة نظرة سريعة على المكان لعلها ترى
مكان تواجد الحمام، وأثناء سيرها إلى آخر الممر
وجدته ودخلت إليه، وبينما هي تقوم بتعديل المكياج
سمعت صوتا غريبا في حقيبتها الصغيرة السوداء،
وعلى الفور بدأت تفتش فيها وأخرجت هاتفها النقال
الذي كان غير مشغل، لكنّها تعجّبت حينما رأت رسالة
نصية على شاشته، فقرأتها في ذهول، لم تصدّق
الأمر، أصلها الخوف وهي تقرأ تلك الرسالة، لم تكن
خائفة من مضمونها بل عن كيفية وصولها وهاتفها غير
مشغل أصلا. أنهت قراءة الرسالة ونزعت بطارية
هاتفها النقال ثم أرجعته إلى الحقيبة وبديها ترتعد
وكانها رأت جنيا. نظرت إلى وجهها في المرآة ولاحظت
شحوبه، تنفّست بعمق محاولة تهدئة نفسها حتى لا
يشك خطيبها في أمر ما، بدأ الهدوء يعود إليها
واسترجعت الثقة في نفسها شيئا فشيئا، وخلال
لحظات غادرت المكان وخطت خطوات سريعة متمنية

في قرارة نفسها رؤية الحاضرين من حولها كي تشعر بالآمان. وأخيرا التحقت بخطيبها الذي كان بانتظارها، ابتمت محاولة إخفاء فزعها، تظاهرت بالفرح وهي تمسك بيد خطيبها قائلة:

– لمرقص قليلا يا عزيزي!

– حسنا، لمرقص كما تشائين.

ظل المحبوان يرقصان لعدّة دقائق، وطوال ذلك الوقت كانت سميرة منشغلة البال، إذ بقيت تفكّر في الرسالة التي توصّلت بها، محاولة فك لغزها، لكن سرعان ما تبادر إلى ذهنها أنها التكنولوجيا التي يمتلكها سكان الجزيرة، فلا يستطيعان الاختفاء عن الأنظار لمدة طويلة دون أن ينكشف أمرهما، وفضّلت إخفاء الأمر عن خطيبها.

انتهت حفلة عيد الميلاد، وانصرف المدعوون، وعاد كل واحد منهم من حيث أتى، كما رجع الشاب أمين وخطيبته والسيد كارلوس إلى منزلهم، وعلامات التّعّب تبدو على محيّاهم وخاصة سميرة التي فضّلت الذهاب مباشرة إلى غرفة النوم كي تستريح، بينما بقي خطيبها

برفقة الأصدقاء في غرفة الجلوس يتبادلون أطراف الحديث في أمور شتى بعيدا عن المشاكل السياسية التي اعتادوا نقاشها من يوم لآخر. وفي وقت متأخر أعدّ "رونالدو" الطّعام بطلب من السيّد "كارلوس"، في حين صعد الشاب أمين إلى الطابق العلوي، واستلقى على السرير بهدوء بجانب خطيبته التي كانت مسافرة في أحلامها. وبعد تفكير قصير في كلّ ما قيل في حفلة عيد الميلاد غلب النّوم الشاب أمين، وهكذا ابتعد الحبيان عن مشاكل الحياة التي زرعتها القدر في طريقهما ولو لساعات من الزمن.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

أوشكت الشمس على المغيب، وكان الجميع يشعرون بالقلق والتوتر، وخاصة السيّد "جمال"، وكلّما مرّت الدقائق والسّاعات كلّما زادت حيرتهم، لم تستطع السيّدة ملاك البقاء جالسة في مكانها، كما لم تتمكّن من الاستمرار في صمتها، قامت من مكانها متسائلة بنبرة حادة نوعا ما، وهي تنظر إلى الخبيرين في الاتّصالات:

– لقد مرّ تقريبا يومان ولم تتوصّل بأيّ ردّة فعل من جانبهما، فهل أتما متأكّدان من أنّها قد توصّلت بنصّ الرسالة على شاشة هاتفها الخلويّ؟

نظر عبد الحميد إلى ملاك وأجاب محاولا تهدئتها:

– اهدئي من فضلك، فمن خلال خبرتي في مجال الاتّصالات، فأنا متأكّد من أنّ الرسالة قد وصلت، لكن لماذا لم تتوصل بأيّ ردّ من سميرة فهذا أمر لا يعلم به سوى الخالق.

شك هيثم يديه وأطراف أصابعه تلامس بعضها، ثم قال بكلّ ثقة في النفس:

– كما قال زميلي عبد الحميد، فلا مجال للشكّ بتاتا أنّها قد توصّلت فعلا بالرسالة، لكن السّؤال المطروح هو: هل قرأت الرسالة أم لا؟ وإذا كانت قرأتها فيجب أن نتنظر المزيد من الوقت كي نرى ردّة فعلها، فليس أمامنا خيار آخر، فقد حاولنا تحديد مكانها لكن هاتفها غير مشغل مما يجعل المهمّة غير ممكنة بالأجهزة التي أحضرناها.

أصغى جمال إلى كلام الخبير جيّدا وعلّق بعصية قانلا:

– ما الذي تقصده بالأجهزة التي أحضرتها؟ هل هناك أجهزة أخرى يمكن بها تحديد مكانهما؟

ساد صمت رهيب في الغرفة، وتبادل الخبيران نظرات غريبة قبل أن يجيب هيثم:

– الأمر سرّي للغاية ولا أستطيع الكلام في الموضوع، لكن كلّ ما يمكن أن أقوله لك بصراحة هو أنّنا لا نملك السلطة الكافية للقيام بشيء أكثر ممّا قمنا به لتقديم المساعدة لكما، لهذا أطلب منكما الهدوء والصبر، وعلينا أن نتنظر لبضعة أيام قبل أن نفكر في حلّ آخر، هل فهمتما؟

عادت ملاك إلى الجلوس مجدداً، وتتفست بعمق محاولة تهدئة نفسها، ثمّ خاطبت أخ زوجها بكلّ هدوء:

– يجب عليك أن تتحلّى بالصبر يا جمال ! فما زال أمامنا الكثير من الوقت للقيام بما يجب، فلا داعي للمزيد من التوتر، فنحن الآن نقوم بما يجب دون تفريط، وأنا متأكّدة أن السلطات في الجزيرة وخارجها يعملون كذلك بكلّ ما يلزم لإنقاذهما من يد الأشرار ولن يتخلّيا عنهما مهما كان الثمن، لنكن يدا واحدة في سبيل

تحقيق هدفنا الواحد دون أن نفقد الأمل بهذه
السهولة.

– أنا آسف! إنه ابني الوحيد، لذلك فقدت السيطرة على
أعصابي، يجب أن نتظر المزيد من الوقت لمعرفة ما
يحدث بالضبط.

أضاف هيثم وهو ينظر إلى السيد جمال:

– هذا هو عين الصواب، كما أننا سنبعث كل يوم
برسالة أخرى إلى هاتفها النقال كي نستبعد احتمال
عدم قراءتها للرسالة قبل اختفائها من على شاشة
الهاتف، فما زال أمامنا الوقت، فما علينا الآن سوى
الانتظار يا أصدقائي.

ساند عبد الحميد اقتراح صديقه هيثم قائلاً:

– نعم، هذا ما كنت أريد قوله لكم بالضبط، سوف
نقوم بإرسال رسالة أخرى هذا اليوم لكن بعد تناول
وجبة خفيفة، ألا تحسّون بالجوع؟

قامت ملاك من جديد من مكانها وقالت:

– أنا أيضا جائعة، سوف أعدّ لكم الشاي الأخضر، فهو يقوّي جهاز المناعة ويحمي الجسم من أنواع كثيرة من الفيروسات والجراثيم.

ضحك هيثم وهو ينظر إلى صديقه ملاك ثم قال:

– أنا أفضل شرب القهوة، فهي تعمل على الرفع من مستوى الذكاء وتحسّن الأداء البدني للجسم.

ابتسم عبد الحميد وهو يستمع لرأي كل واحد منهما وعلّق قائلا:

– أمّا أنا فأفضل شرب عصير البرتقال لأنه خال من مادة الكافيين، ولكونه يعمل على تخليص الجسم من السموم، إضافة إلى دوره الوقائي ضد الأمراض.

ظلّ جمال صامتا دون أن يبدي رأيه، فقد كان منشغل البال، إذ كان يفكّر في ابنه الوحيد متمنيا من أعماق قلبه أن يكون بخير.

اتّجهت ملاك إلى المطبخ والابتسامة مرسومة على شفيتها، فقد عاد المرح إليها ولو نسيها عندما استمعت إلى الآراء المختلفة لأصدقائها، لكن بالرغم من ذلك كان تفكيرها، وهي تعدّ الشاي، يسافر بين الغينة

والأخرى إلى الإشكالية التي مازال على الخيرين حلّها،
فحياة كل من الشاب أمين وسميرة مازالت في خطر
شديد، ولا يعلمون مصيرهم.

وخلال ربع ساعة تقريبا، حملت ملاك كؤوس الشاي
في صينية مستديرة إلى غرفة الجلوس، ثم عادت إلى
المطبخ وأحضرت صحنا أبيض اللون مليئا بأنواع
مختلفة من الحلوى، فأخذ الجميع يشربون الشاي
ويأكلون الحلوى وهم يتحدثون في كيفية إقناع الشاب
أمين وزميلته، التي هربت برفقته، للعودة إلى صفّهم
في حالة ما نجح الاتّصال بهما في القريب العاجل.

ارتشفت ملاك الشاي الساخن وهي تفكّر في هدوء:

– ما هي الطريقة المثلى في نظركم لإقناع الشاب
أمين بالعودة إلى الجزيرة؟

استمع الجميع إلى السّؤال جيّدا، وأخذوا يفكرون في
صمت لعلّهم يجدون الطريقة المثلى والكلمات المقنعة
في مثل هذه الحالة، وبعد وهلة من التفكير نطق
جمال بنبرة متوترة شيئا ما:

– أنا أعتقد أننا أخطأنا عندما أرسلناه للعالم الخارجي دون إخباره بالتفاصيل عن سبب العلاقة العدوانية التي تجمعنا مع الحركات المسماة بالحركات الشعبية التحررية.

وضع عبد الحميد الكأس فوق الطاولة بعد أن ارتشف من كوب الشاي رشفتين وقال:

– أنت تقصد أنه كان على المسؤولين في الجزيرة اطلاعه حقيقة الخيانة التي تعرضنا لها من طرف الكثير من الحكومات في العالم الخارجي على مدى عدة عقود مضت ، أليس كذلك؟

– نعم، لقد كان عليهم إخبار ابني بأننا كنا في الماضي البعيد نزودهم بالعديد من الاختراعات العلمية لاستخدام جانبها السلمى، لكن حكومات العالم الخارجى أساءت استخدام تلك التكنولوجيا؛ فمثلا بدل استعمال تكنولوجيا الطيران فى المجال المدنى، قامت الحكومات باستخدامها فى المجال العسكرى، حيث صنعت الطائرات الحربية بشكل سرى من طرف الجيوش فى العديد من الدول، وهذا الأمر كان مخالفا بشكل تام للاتفاقيات الموقعة مع تلك الحكومات.

أضاف عبد الحميد وهو يحكّ ذراعه:

– أنا أوافق تماما على وجهة نظرك، فأغلب الحكومات في العالم الخارجي ارتكبت العديد من الحماقات، فبدلا من استخدام التكنولوجيا التي زودناهم بها في المجال المدني تم استخدامها في المجال العسكري، فقد تم استغلال التكنولوجيا المتعلّقة بالطيران ومقاومة الجاذبية في تطوير صناعة الصواريخ. كما أساءوا استعمال الطاقة النووية، فبدل العمل بها في المجال المدني السلمي، قاموا بصناعة القنابل النووية التي تم استخدامها ضدّ اليابان. فالجيوش في العالم الخارجي تفتقد إلى العقلانية في تصرفاتها، فهم يتقنون فنّ العنف والتدمير، ولو أتيحت الفرصة لهم سوف يحاولون دون شكّ استخدامها ضدنا، فقلوبهم لا تعرف الرّحمة ولا الشفقة، فالتوحّش مازال السّمة الطاغية على سلوكهم فيما بينهم، وذلك رغم محاولاتنا المتعدّدة لإقناعهم بالعدول عن هذا النوع من التصرفات اللإنسانية.

ابتلعت ملاك قطعة من الحلوى بعد أن تمادت في مضغها، وتدخّلت مبدية رأبها الذي يتماشى مع رأب صديقها عبد الحميد:

– كلّ ما قلته صحيح مئة بالمئة، ففي الماضي البعيد، قمنا بتزويدهم بالعديد من العلوم في مجالات شتى، كالعلوم الفيزيائية، وعلم البيولوجيا وغيرها من العلوم. وفي العقود الأخيرة كان الفضل يرجع لنا في تقدمهم في مجال الاتصالات والإنترنت، وأساءوا استخدامهما، فصاروا يكونون مهندسين يعملون على تدمير البرامج وتخريب أنظمة الحواسيب بواسطة الفيروسات، إنهم يتقنون كما قلت فن التدمير، لهذا ستكون نهايتهم الدمار الشامل بواسطة الأسلحة التي صنعوها.

أطلق هيثم قهقهات جعلت الآخرين يضحكون مثله، ثم قال بثقة عالية:

– أنا أخالف رأيكم تماما يا أصدقاء! ألم يكن من الجدير بنا أن نتركهم يعيشون الحياة البدائية؟ فقد كان الخطأ خطأنا منذ البداية، لم يكن على مسؤولي الجزيرة تلقينهم العلوم التي توصل إليها أجدادنا، فأتتم

تعلمون أنهم يختلفون عنّا ولو قليلا في التركيبة الجينية لأجسامنا، وهذا الاختلاف بالرغم من كونه بسيطاً، فإن آثاره ظاهرة جلياً على سلوكهم العدواني فيما بينهم ومعنا نحن أيضاً. لقد أخطأ مسؤولو الجزيرة حينما عملوا على إسقاط حكومات وخلق حكومات أخرى تابعة لهم، وسيكون خطأهم الأكبر هو العمل على افتعال الأسباب التي ستشعل الحرب العالمية الثالثة للقضاء على الأنظمة المعادية لنا ، وكلّ ذلك من أجل تحقيق مصالحنا نحن سكان الجزيرة.

فكّر عبد الحميد قليلا فيما قاله زميله هيثم وعلّق قائلاً:
- كان عليك أن تكون متخصصاً في علم الوراثة والعلوم السياسية يا صديقي ! لكن أنا لا أتفق معك فيما قلته؛ فبسبب الأعداء في العالم الخارجي اضطررنا إلى التعامل معهم بطرقهم القبيحة لأن نسبة كبيرة من الشعوب غير واعية، ويتم استغلال سذاجتها في مساندة الحكومات الظالمة التابعة للجيش، وذلك من خلال التصويت بالمال في الانتخابات، رغم سياساتها المعادية للحرية وحقوق الإنسان، وبالتالي الشعوب تستحق النهاية المأساوية التي تنتظرها.

رفع هيثم يده ملوّحاً بسبابته نحو زميله وقال:

– هذا بالفعل هو التخصص الذي كنت أحلم به حينما كنت في العاشرة من عمري، لكن الأقدار لم تشأ ذلك، وبالتالي تخصصت في تكنولوجيا الاتصالات. لكن موقفي سيظل مغايراً تماماً لموقفك.

أضاف عبد الحميد بابتسامة:

– لكن رغم ذلك سأظل صديقك المفضل، أليس كذلك؟

– نعم، الأمر صحيح يا أعزّ أصدقائي!

حاول جمال تغيير مسار الحوار بقوله:

– أظن أن الوقت قد حان لإعادة محاولة إرسال رسالة على شاشة هاتف السيدة سميرة.

قام الخبيران من مكانهما وعزيمتهما كبيرة في تحقيق الهدف وقالوا في آن واحد:

– صحيح، هيا بنا للعمل!

أنهت ملاك الحديث قائلة:

– أتمنى لكما النجاح في عملكما إن شاء الله.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تجاوزت السّاعة منتصف الليل، خلد معظم سكّان الجزيرة للنوم، وخلال تلك الأثناء عقد حكام الجزيرة اجتماعا طارئا وسريّا في إحدى القاعات تحت الأرض، لم يكن يعلم بانعقاده سوى القليل من المسؤولين الكبار. ترأس الجلسة الجنرال سفيان الذي دعا إليه، حيث كان هو آخر من التحق به بعد وصول جميع المدعوين من طرفه. جلس سفيان حول مائدة مستديرة وأخرج مجموعة من الأوراق من ملف أصفر، ساد صمت رهيب في القاعة قبل أن يبدأ بإلقاء الكلمة بكل ثقة في النفس:

– في البداية أرحب بالجميع، وإنّه لشرف كبير أن أجمع بكم هذه الليلة بشكل طارئ. لقد أعطيت الأوامر ببدء تلقيح سكان الجزيرة غدا بالمادة الكيميائية التي توصلّ إليها الباحث المعجزة أمين، وكذلك باللقاح المضاد لجميع الأمراض، وأتمنى أن تنتهي العملية في غضون الأيام الأربعة المقبلة. وفي سبيل تحقيق ذلك، فقد تم تكوين فريق طبي صار

جاهزا لتنفيذ الأمر ابتداء من يوم الغد، هذا من جهة. ومن جهة أخرى أعطيت التعليمات لجميع مواطنينا، وعمالنا العاملين في العالم الخارجي، أن يكونوا على استعداد تام للعودة إلى الجزيرة عند توصلهم بإشارة منّا، وذلك من أجل إعلان الحرب العالمية الثالثة من جانب العملاء الذين سيصلهم الضوء الأخضر لبدء التنفيذ، وطبعا بعد إنقاذ كل من الشاب أمين وزميلته سميرة. وبخصوص هذا الأمر الأخير، فاستخباراتنا تتبع عن كثب جميع الخطوات التي يقوم بها الخيران في الاتصالات اللذان قدّما المساعدة للعسكرية ملاك بموافقة منا بشكل سري. وفي الأخير أتمنى عودة سالمة لجميع مواطنينا وعمالنا في العالم، وأرجو التوفيق لقواتنا العسكرية في إنجاز مهامها خلال الحرب العالمية الثالثة.

أنهى الجنرال سفيان كلمته بفخر واعتزاز تحت التصفيق الحار من الحاضرين، مدنيين وعسكريين. وبعدها مباشرة جرت مشاورات ثنائية لتوضيح الأمور التي ظلت غامضة، وكذا من أجل تبادل المعلومات فيما

بينهم، تفاديا لأي أخطاء محتملة، وفي سبيل إنجاز المهمة بنجاح.

في اليوم التالي، وقبل بدء حملة التلقيح بساعات، تم إعلام سكان الجزيرة بأهمية التلقيح من طرف لجنة طبية متخصصة في التواصل، ووضحت لهم الأهداف المتوخاة منه بشكل جليّ. كما قامت اللجنة بالجواب عن جميع الأسئلة والاستفسارات التي طرحها المواطنون.

وهكذا بدأت حملة التلقيح في الجزيرة من طرف فريق طبي يتكون من عشرات الأشخاص من جميع التخصصات. وإضافة إلى ذلك تم تشكيل فريق طبي آخر لمراقبة مدى نجاح العملية. وفي نفس الوقت، قامت لجنة مكونة من عدد كبير من العمال المتخصصين، بجمع كلّ الأغذية التي تخرّج عنها سكان الجزيرة من بيوتهم، وذلك من أجل وضعها في أماكن خاصة بالتخزين تمهيدا للتخلص منها في المستقبل القريب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الشاب أمين يجلس على الأريكة في البهو بجانب خطيبته سميرة، وفي الجانب المقابل لهما كان يجلس كل من "أنخيل" و"روبرتو" و"رونالدو". همس روبرتو في أذن رونالدو شيئا ما جعله يثور غضبا إلى درجة القيام من مكانه وهو يردّد بصوت عال عدّة مرّات: "النهاية قريبة، النهاية أكيدة"، الشيء الذي أضحك كلا من "أنخيل" و"روبرتو"، بينما شعر أمين وسميرة بالأسف وعدم الرضى من التعامل السيء تجاه رونالدو، وهو ما جعل سميرة تتدخّل متسائلة:

– لماذا تعاملونه بهذه الطريقة؟ أليس من العار إيذاء الغرب وبالأحرى الصديق؟

شعر روبرتو بالخجل فاحمرّت وجنتيه وأذنيه، الشيء الذي اضطرّه للاعتذار لرونالدو قائلا:

– أنا آسف يا صديقي! لم أكن أقصد إيذاءك، لقد كنت أمزح معك فقط.

نظر رونالدو إلى روبرتو موجهًا له كلمات ذات معنى عميق:

– الاعتذار بعد إحداه الجروح للغير لا يشفيها، وحتى إن شفيت تبقى آثارها مدى الحياة.

آنذاك أحسّ روبرتو بالندم الشديد ولم يتصوّر أن الأمور قد تسير بهذا الشكل المحزن، ولم يكن يدري كيف يصلح الأمر، وكيف له أن يرجع الكأس إلى حالته الأولى بعد تكسيره، فما وقع قد وقع ولا سبيل لتغييره.

عاد رونالدو للجلوس على الأريكة، وحينها دخل كارلوس إلى المنزل وقصد البهو حيث يجلس الأصدقاء، ثم ألقى التحية واقترب من الشاب أمين ومدّ يده قائلاً:

– خذ يا أمين هذا الظرف، ففيه تجد جوازات السفر مع تذاكر الرحلة إلى "سان أنطونيو" بأمريكا، وسوف يرافقكما "رونالدو" في رحلتكما، فهو يعرف المكان جيّدًا الذي سوف تذهبون إليه.

أخذ الشاب أمين الظرف ووضعها في جيب سترته، وتساءل:

– آه! لقد نسيت أن أخبرك، سوف تغادرون الليلة على الساعة الحادية عشرة، والرحلة تستغرق أقل من ساعتين من الزمن.

أحسّ رونالدو بالفخر والسرور لأنه سيرافقهما في الرحلة إلى هناك، ومن شدة الفرح نسي الإهانة التي تعرّض لها منذ قليل، وضمّ أصابعه في قبضة ملوّحاً بها في الهواء وأخذ يصرخ:

– سوف أسافر إلى أمريكا في الطائرة، أنا أحب السفر في الطائرة.

كرّر كلماته مرتين قبل أن يوقفه كارلوس بأمر منه:

– اصمت وتوقّف عن فعل ذلك يا رونالدو!

نظر كارلوس حوله وأضاف متسائلاً:

– أين هم الآخرون؟

أجاب أنخيل بهدوء:

– لقد تلقى "خوسيه" اتصالاً هاتفياً وغادر برفقة كل من "رفاييل" و"غابرييل".

– هكذا إذًا، ألم يخبرك من كان المتّصل؟

– لا.

– حسنا، أنا متعب بعض الشيء، سوف أذهب
لأستريح قليلا، أمّا أتم فكونوا مستعدّين كي أقلّكم
للمطار.

و بمجرد أن انصرف كارلوس رجع كل من خوسيه
ورفايل وغابرييل من حيث كانوا، وكان التعب واضحا
على خوسيه الذي أخذ يعطس ويقول:

– لقد أصبت بالزكام، إنه المرض الذي أمقته منذ أن
كنت طفلا صغيرا، سوف أذهب إلى الفراش لأستريح،
إنني أشعر بتعب شديد.

توجه خوسيه مباشرة إلى غرفة النوم واستلقى على
السري، بينما جلس رفايل وغابرييل بالقرب من أنخيل.
فاستغلّت سميرة الفرصة وسألت غابرييل:

– أين ذهبتم؟ لقد سأل عنكم كارلوس وكان يريد
معرفة مكان ذهابكم.

– لقد التقينا بأحد رؤساء الحركة الشعبية التحررية
لدولة الأرجنتين، فقد كان في مهمة هنا بالمكسيك
وأراد أن يعرف المستجدات.

– وبماذا أخبرتموه؟

– لقد أخبره خوسيه بأمر اللقاحات التي نريد صنعها
وتصديرها كما تعلمين.

– كيف كانت ردّة فعله عندما سمع بخبر اللقاح؟

قبل أن يهم غابرييل بالجواب سمع الجميع صوت
خوسيه وهو ينادي بصوت عال:

– تعالى إلى هنا فوراً يا رونالدو!

شعر رونالدو بالفزع وبقي جالسا في مكانه لا يحرك
ساكنا، فقام رفايل بدله وذهب ليعرف سبب صراخ
خوسيه، وما أن اقترب منه حتى رآه يرتعد من شدّة
الحرارة وهو يرددّ دون توقّف:

– أنا جائع، أريد الطّعام فوراً.

خرج رفايل بسرعة من هناك وأخبر أصدقاءه بما رأى
وسمع، فاندھش الجميع ممّا حصل له، فعلق الشاب
أمين قائلاً:

– الأمر عادي للغاية يا أصدقاء! لا داعي للقلق، فقد
بطل مفعول اللقاح، وأصبح يحسّ بالجوع ويحتاج
للطعام، وذلك بسبب إصابته بفيروس الزكام.
سمع كارلوس الصراخ فخرج من الغرفة وهو غاضب،
ثم قال بنبرة قوية:

– ما الذي يحدث هنا؟ ما الذي أصابكم؟

حاولت سميرة تهدئته قائلة:

– لقد أصيب خوسيه بالزكام وصار يحسّ بجوع شديد،
إنه أمر طبيعي، فاللقاح يبطل مفعوله بمجرد الإصابة
بمرض من الأمراض.

– وما الفائدة من اللقاح؟

تدخل الشاب أمين وأجابه:

– إن أهمية اللقاح تكمن في التوقف عن تناول الطعام
لفترة معيّنة، وبذلك سوف لن نحتاج إلى كميات كبيرة

من الأغذية. إضافة إلى ذلك يمكن تلقيحه من جديد دون أية مضاعفات، لكن الآن لا تتوفر على لقاحات.

فهم كارلوس مدلول كلامه وعاد الهدوء إليه وقال:

– يجب أن نضع ما يكفي من اللقاحات حتى لا نواجه مثل هذه الحالات الطارئة.

– نعم هذا كل ما في الأمر.

وبذلك استطاع الشاب أمين إخفاء الحقيقة عن كارلوس، فلو علم بأن هناك لقاحا خاصا ضد جميع الأمراض لكان مصيرهما لا يعلم به سوى الخالق.

وحينها أعطى كارلوس الأمر لرونالدو الأمر بإعداد الطعام لخوسيه، كما أمر غابرييل بالذهاب إلى الصيدلية لشراء بعض الأدوية المضادة للحرارة والزكام.

وخلال حوالي ساعة من الزمن، أعدّ رونالدو طبق السمك وكذا السلطة، وقدمهما لخوسيه الذي أخذ يلتهم الطعام التهاما، ثم تناول الدواء وعاد للاستلقاء في الفراش من جديد، راقب رونالدو صديقه خوسيه حتى غلبه النوم، وبعدها حمل الأواني في صينية بلاستيكية

وغادر الغرفة بعد أن أغلق الباب بهدوء بيده اليسرى
وتوجّه فوراً للمطبخ وهو يردّد أغنية بصوت غير
مسموع.

ظل جميع الأصدقاء صامتين لبعض الوقت بسبب ما
حصل اليوم، فالأمر كان مفاجئاً لبعضهم، بينما كان
متوقفاً بالنسبة لأمين وسميرة، فقد كان يعلمان
بإمكانية حدوثه في أية لحظة، وأخفيا ذلك حتى لا يقعوا
في مشاكل هم في غنى عنها.

قامت سميرة من مكانها، وصعدت للحمام بالطابق
العلوي وهي تحمل حقيبتها على كتفها الأيمن. دخلت
إلى هناك وأغلقت الباب وراءها، ثم بدأت تقوم بتزيين
وجهها الجميل، وما أن اقتربت من الانتهاء حتى سمعت
صوت رنين ضعيف، ففزعت لأنها توقعت وصول رسالة
إلى هاتفها، فتحت الحقيبة وأخرجت الهاتف، فوجدت
رسالة على الشاشة وقرأتها بسرعة ثم أرجعته إلى
الحقيبة. أكملت على عجل وضع الماكياج على وجهها
وخرجت بخطى سريعة والتحقت بخطيبها بالطابق
السفلي محاولة إخفاء توترها.

مرّت الوقت بسرعة، نظر كارلوس إلى ساعته اليدوية وقال:

– لقد حان وقت الذهاب للمطار، هيا بنا !

كان الشاب أمين ورونالدو وسميرة على أهبة الاستعداد، قاموا من مكانهم وتبعوا السيد كارلوس الذي تقدّمهم بخطى متوسطة السرعة. فتح باب المنزل وخرج، فتبعه الآخرون، ولج السيارة الجميع، حيث جلس الشاب أمين وخطيبته في المقعد الخلفي، وبحركة سريعة أدار كارلوس محرك السيارة وانطلق بسرعة نحو مطار "غوادالاخارا".

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كانت الرحلة عبر الطائرة مريحة وسريعة، حيث استغرقت ساعة وخمسة وأربعين دقيقة، لم يشعر أصدقاؤنا بالتعب ولا الملل. حطّت الطائرة بمطار "سان أنطونيو" بالولايات المتحدة الأمريكية، كان ملينا بالمسافرين، مرّت الأمور بسلام، لقد نجحوا من عبور نقط المراقبة دون مشاكل، ثم خرجوا من هناك واستقلوا سيّارة الأجرة، وحينها أخبر رونالدو السائق

بالعنوان الذي يريدون الذهاب إليه، فتوجه بسرعة متوسطة نحو الهدف المنشود. كانت الشوارع واسعة وشبه خالية من المارة، وأضواء المدينة تزينها، وخلال دقائق توقفت سيارّة الأجرة وتقاضى أجره، ثم انطلق سعيًا وراء رزقه.

قطع الثلاثة مسافة قصيرة سيرًا على الأقدام قبل أن يصلوا أمام مبنى ضخم، في أطراف المدينة وبعيدا عن السكان، مكّون من عدّة طبقات. وعند المدخل كان يقف ثلاثة حراس ذوي عضلات مفتولة، سريعا ما تعرّفوا على "رونالدو" الذي ألقى التحيّة عليهم، وبإشارة من يد أحدهم دخل الثلاثة إلى ذلك المبنى، يتقدمهم رونالدو الذي سارع إلى إخبارهم قائلا:

– نحن الآن نتواجد بالمختبر السري، وهنا سوف تعملون برفقة خبراء في مجالات متنوعة.

تعجّب الشاب أمين وسميرة حينما سمعوا لأول مرّة رونالدو يتحدّث بهذه الطريقة وبكل ثقة في النفس. استمعوا جيّدا إلى ما قاله وتبعاه وهو يتقدّم في ممر طويل لخطوات عديدة إلى أن وصل إلى نهايته، حيث يوجد مصعد، إذ دخل إليه رونالدو وعلى الفور تبعاه

كل منهما وعلامات التوتر بادية عليهما. ضغط رونالدو على أحد الأزرار وهو يبتسم، فأخذ المصعد ينزل نحو الأسفل ببطء، وخلال ثوان توقف وانفتحت بابه، فخرج رونالدو وتبعاه الاثنان وعيناها تراقب المكان غير المألوف بالنسبة لهما، لكن يشبه إلى حدّ ما المختبر الذي كان يعملان به سابقا.

ساروا من جديد خطوات في ممر واسع، ثم توقف رونالدو أمام باب انفتح بعدما ضغط على مجموعة من الرموز الغريبة المتواجدة بالجانب الأيمن للباب. دخل رونالدو أوّلا، فتبعه الشاب أمين وسميرة، وفي الحين وجدوا شخصا متوسط الطول، ذو شعر أسود وبشرة بيضاء، في الأربعينات من عمره، كان يرتدي وزرة بيضاء اللون، وسرعان ما رحّب بالضيفين بابتسامة عريضة وكأنّه يعرفهما قائلا:

– مرحبا بكما يا أمين وسميرة! أنا "ريكاردو" رئيس فريق الأبحاث الطبية هنا.

ردّ أمين وسميرة في نفس الوقت:

– يسعدني لقاؤك يا ريكاردو!

– اتبعاني من فضلكما، سوف أعرّفكما بالفريق الطبي الذي سيساعدكما في القيام بالمهمة الخاصة التي كلفكما بها السيد أليخاندرو. وبعدها سأريكما الغرفة حيث سوف تامان.

وآنذاك انصرف رونالدو إلى مكان ما، في حين تبع الشاب أمين وسميرة رئيس فريق الأبحاث الطبية، وتعرّفا على الفريق الطبي هناك، وبعدها مباشرة ذهبا برفقة ريكاردو إلى إحدى الغرف حيث سيقومان بها خلال طيلة مدة قيامهما بالمهمة التي جاءا من أجلها.

وفي صباح اليوم التالي، استيقظ الشاب أمين وسميرة، والتقيا بريكاردو الذي طلب من سميرة بمفردها إحضار المادة الكيميائية التي سوف يحتاجون إليها من أجل صناعة الحقن تنفيذا لوعدها الذي قطعته لأليخاندرو في وقت سابق ومنحها مهلة يوم واحد فقط، وحينها وجدت نفسها مضطرة لمغادرة ذلك المختبر والعديد من الأفكار تتهاطل عليها، خصوصا أنها لم تكن تدري ما يجب أن تقوم به، فقد وضعت الشاب أمين ونفسها في الخطر.

غادرت سميرة ذلك المكان والحيرة تسيطر عليها.
مشت سيرا على الأقدام لمسافة قصيرة، لعلّها تهتدي
إلى حل يخرجها من المأزق الذي وقعت فيه هي
وخطيبها أمين. وفجأة خطر على بالها تشغيل هاتفها
لتتصل بزميلها عبد الرؤوف:

– ألو! مرحبا يا صديقي!

تفاجأ عبد الرؤوف عند سماع صوتها، فردّ عليها قائلاً:

– مرحبا يا سميرة! من أين تتصلين؟ هل أنت بخير؟

– نعم، أنا بخير، لكن الوضع خطير.

شعر عبد الرؤوف بالقلق وسألها:

– هل الشاب أمين بخير؟

– نعم نعم، لكن لا أدري ما الذي سيحصل خلال
الساعات القادمة.

– أخبريني أين أنت الآن؟

– في سان أنطونيو.

– اهدني واشرح لي ما يجري.

– لقد طلبوا مني إحضار المادة الكيميائية التي استخدمناها في صناعة الحقن، هل فهمت؟

– وبماذا وعدتهم؟

– لقد اضطررت للكذب عليهم، وقلت لهم أنني أعرف مجموعة من الأصدقاء هنا في أمريكا، وأخبرتهم أنهم سيزودوننا بتلك المادة، وإذا لم أفي بوعدي سأعرض حياتي وحياة أمين للخطر.

– نعم، لقد فهمت، لكن كم من الوقت أمامك للوفاء بوعدك؟

– يوم واحد فقط.

– سوف أحاول التصرف، لكن بشرط أن نبقي على اتصال، هل أنت موافقة؟

– أجل، شكرا لك.

أنهت سميرة المكالمة وهي قلقة، ألقت نظرة على ساعتها الإلكترونية ثم راقبت المكان وقشعريرة الخوف تسري في جسدها. شاهدت كرسيًا في الشارع المقابل، فعبرت الطريق ثم جلست عليه وهي تمسك

بهاتفها الخلوي وكأنها تنتظر مكالمة مستعجلة من أحد ما.

مرّت السّاعات وكأنّها أيّام، حلّ الظلام وهي في حالة انتظار، لكن دون أي مستجد، شعرت بالبرد فقامت من مكانها باحثة عن فندق لقضاء تلك الليلة. خطت سميرة خطوات سريعة لمُدّة نصف ساعة تقريبا، فجأة شاهدت فندقا، فتوجّهت إليه ودخلت دون تردّد، دفعت الثمن وأخذت المفتاح. دخلت الغرفة رقم سبعة الموجودة في نهاية الممر بالطابق الأول، وأغلقت الباب بإحكام نظرا لعدم شعورها بالأمان. استلقت على السرير دون أن تنزع حذاءها كي تكون مستعدّة للمغادرة في أيّة لحظة.

غلبها النوم ولم تستطع مقاومته نظرا لتعبها النفسي أكثر من تعبها الجسدي. فجأة رنّ هاتفها فقفزت خوفا من مكانها، أمسكت الهاتف بيدها وهي تنظر إلى الرقم الغريب الذي يتّصل بها، طبعا لم يكن رقم زميلها عبد الرؤوف، تساءلت في قرارة نفسها عن من يكون المتّصل، تردّدت في البداية أن تجيب، لكن في النهاية ردّت قائلة:

– آلو! من أنت؟

– أنا ملاك، صديقة جمال.

– أتقصدين جمال والد أمين؟

– أجل، هو بالضبط.

– أنا في حاجة ماسة للمساعدة، هل يمكنك ذلك؟

– طبعاً، لهذا بالضبط أتصلت بك، فمنذ أيام ونحن

نحاول الاتصال بك، وقد أرسلنا لك رسائل إلى هاتفك

الذي كان غير مشغل. أين أنت الآن؟

– أنا في الفندق.

– لقد وصل إلى علمنا أنك أنت وأمين في خطر، لذا

أريد منك أن تعودي غدا صباحاً إلى المكان حيث تركت

أمين، وحاولي إقناعه بأن يلتقي والده بولاية كارولينا

الشمالية، لأنه يريد الحديث معه في أمر مهم جداً.

– سوف أحاول إقناعه، لكن ماذا سأقول لأولئك

الأشرار؟

– نحن نعلم أنهم يريدون الحصول على تلك المادة الكيميائية، فقط أخبرهم أن أصدقاءك سيحضرونها في ليلة الغد، هل فهمت؟

– نعم، لقد فهمت.

– النصيحة الأخيرة، أتركى هاتفك مشغلا، فإن حدث طارئ ما، لقاؤنا سيكون بالمختبر السريّ حيث كنت تعملين، هل أنت موافقة؟

– أجل.

– إلى الملتقى!

انتهت المكالمة، وضعت سميرة الهاتف فوق طاولة صغيرة موجودة بالقرب من السرير، واستلقت على ظهرها، ثمّ أغمضت عينيها بعد أن عاد نور الأمل إليها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

انتشر ضوء النهار سريعا، واستيقظ الشاب أمين متأخرا ذلك الصّباح، غسل أطرافه وتناول بعض الحلوى التي كانت في صحن أزرق مزين بطائر الطاووس، وخرج من الغرفة بخطى ثقيلة وهو يحمل في يده كأس

النشاي، وكان مازال يشعر بالنوم يلعب عينيه. وبينما كان مارا أمام إحدى الغرف المجاورة سمع نقاشا حادا بين رونالدو وريكاردو الذي كان يقول بصوت واضح:

– سوف تتخلص منهما بمجرد الحصول على تلك المادة الكيميائية، إنها أوامر رئيسنا المباشر أليخاندررو.

شعر أمين بصدمة كبيرة عند سماعه ذلك الكلام، فسقط الكأس من يده وتكسّر، فخرج ريكاردو بسرعة من الغرفة وخلفه رونالدو، وشاهد الشاب أمين وعلامة الدهشة بادية على محياه، فقال بنبرة عدوانية:

– يبدو أنّك سمعت الحوار الذي دار بيننا، لهذا سوف أعجّل بتنفيذ الأمر يا صديقي!

وحينذاك أخرج ريكاردو مسدّسا كان يخفيه تحت وزرته البيضاء، ووجّهه صوب أمين الذي شعر باقتراب نهايته، لكن في الوقت الذي هم فيه ريكاردو بالضغط على الزناد، كان رونالدو قد أطلق رصاصة قاتلة، من مسدسه الكاتم للصوت، والتي أصابت رأس ريكاردو الذي سقط ميتا على الأرض.

أصيب الشاب أمين بالذهول وهو يسمع رونالدو يخاطبه قائلاً:

– اهرب يا صديقي أمين! "النهاية قريبة، النهاية أكيدة".

لم يتردد الشاب أمين لحظة واحدة في الهروب بعد أن أفلتت من موت محقق، وأخذ يركض في الممر إلى أن وصل إلى المصعد، دخل مسرعاً وضغط على أحد الأزرار فأخذ يرتفع نحو الأعلى، وخلال ثوان وصل إلى هدفه وانفتح باب المصعد، فكانت المفاجأة كبيرة حينما شاهد خطيبته سميرة تقف أمام المصعد، فسألته وهى تنظر إلى الفرع الذي أصابه:

– ماذا حصل لك؟ إلى أين أنت ذاهب؟

لم يجد أمين الوقت الكافي كي يجب عن الأسئلة وأخذ يقول لها:

– يجب أن نهرب من هنا، لقد كنت مخطئاً، إنهم أشرار.

أمسكت سميرة خطيبها وحاولت تهدئته قائلة:

– اهدأ وتصرف بالشكل العادي كي لا تثير الشبهات وحتى تتمكن من الفرار من هنا، هل فهمت؟

تنفّس الشاب أمين بعمق وعاد الهدوء إليه شيئا فشيئا،
ثم قال:

– حسنا، لنغادر المكان قبل أن يفوت الأوان.

– لنهرب من هنا يا عزيزي! فأنا عدت إلى هنا من أجل
إقناعك بالفرار قبل أن تتم تصفيتنا.

غادر الشاب أمين وخطيبته سميرة ذلك المختبر دون
مشاكل لحسن حظهما، واستقلا سيارّة الأجرة باتّجاه
المطار، حيث تلقت سميرة مكالمة من السيدة ملاك
التي أكّدت لها أن مكان اللقاء سيكون بالمختبر السري
بولاية كارولينا الشمالية، وبعد ذلك بدقائق أقلعت
الطائرة باتّجاه هدفها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞ ∞

شعر الشاب أمين بالتّدم على مساعدة أولئك الأشرار،
لكن الشّيء الذي جعله حائرا هو مساعدة رونالدو له،
فلولاه لكان الآن في عداد الموتى. وخلال الرحلة
تحدث الشاب أمين مع خطيبته، وأخبرها بما حدث له
وكيف أنه غيّر رأيه بشكل مفاجئ، وأخبرته هي كذلك
بالرسائل التي توصلت بها على شاشة هاتفها، وبرغبة

والده التحدث إليه في أمر هام. ومن جانبه هو أخبرها
باشتياقه الكبير لوالديه بالرغم من نجاحه في إخفاء
الأمر عنها خلال المدّة الماضية.

دامت الرحلة حوالي أربع ساعات، وحطّت الطائرة في
المطار، وبمجرّد أن خرجا منه توجّهّا إلى محلّ لكرء
السيّارات، فعاد السرور إليهما معاً، وبادرت سميرة إلى
سؤاله قائلة:

– ترى أي نوع تحبّ أن نكترى؟

– فورء فوكس يا عزيزتي!

– حسناً، كما تريد.

قاما بكرء السيّارة ودفعاً ثمن ذلك، ثمّ جلست سميرة
أمام المقود وجلس بالقرب منها أمين، أدارت المحرّك
وانطلقت السيّارة باتجاه المختبر السري.

وحينما وصلا إلى هناك، كان في انتظارهما قرب الباب
السيدة ملاك، ووالده جمال الذي شعر بفرح كبير عند
رؤيته لابنه وهو يخرج من السيّارة برفقة سميرة. لم
يتمالك السيد جمال نفسه، واقترب من ابنه وحضنه

بقوّة، وبعدها سلّم على سميرة، وأنداك طلبت منهم
ملاك الدخول إلى المختبر كي يستريحا من تعب
السّفَر.

وداخل المختبر دار حوار مطوّل فيما بينهم، حيث شرح
السيد جمال والسيدتان ملاك وسميرة للشاب أمين كلّ
الأمر التي لم يكن يعرف تفاصيلها، وتم إقناعه أخيرا
بأن الأشرار في العالم الخارجيّ لطلالما أساءوا
استعمال التكنولوجيا، وأنهم يخطّطون لاستخدامها
ضدّهم، وأنّه آن الأوان كي يلقوا العقاب الذي
يستحقونه.

وخلال وقت متأخر من الليل، تواصل الخبيران في
الاتصالات السيد عبد الحميد وهيثم مع الاستخبارات
التابعة لحكام الجزيرة، وتم الاتّفاق سرّيّا على مغادرة
جميع مواطني الجزيرة والعملاء السريين للعالم
الخارجيّ في غضون يومين أو ثلاثة أيّام على الأكثر.

وهكذا تم تطبيق الأوامر حرفيا ودون تأخير، وعاد
الشاب أمين ومن كان معه إلى الجزيرة، كما عاد إليها
كل المواطنين الذين كانوا يعملون خارجها، وأعلنت
حالة الطوارئ في الجزيرة، وتمّ اتّخاذ كل الاحتياطات

اللازمة على جميع المستويات، وتم إعطاء الضوء الأخضر للقوات العسكرية بالجزيرة للقيام بما يجب ضد العالم الخارجى، فتم إرسال صحنون طائرة عسكرية لا تلتقط من طرف الرادار، وأطلقت القنابل باتجاه الفضاء حيث تتواجد الأقمار الصناعية فتم تعطيلها. وبعدها بساعات قليلة تم إطلاق غازات فى الجو تحتوي على أنواع كثيرة من الفيروسات التى لم تعرفها البشرية قط، فسادت فوضى عارمة فى جميع أنحاء العالم خاصة بعد انسحاب العملاء الذين كانوا يسيرون الأمور هناك، وفقدت قوات الشرطة السيطرة على الشعوب التى تطالب بتدخل الحكومات لإنقاذ حياتهم، كما تدخلت الجيوش لعدة أيام لإيقاف المظاهرات المليونية فى كل بقاع العالم لكن دون جدوى، وبذلك فقدت الدول الثقة فيما بينها خاصة بعدما انقطعت جميع وسائل الاتصال، الأمر الذى اضطر بعض الدول إلى استخدام ترساتها النووية والبيولوجية ضد دول كانت تعتبرها دولا مارقة، وبالطبع قامت دول عظمى أخرى بالردّ عليها بما تملك هى أيضا من ترساتها النووية والبيولوجية والجرثومية وغيرها من الأنواع التى

تمتلكها، فانطلقت بذلك حرب عالمية ثالثة أفنت أكثر
من تسعين في المئة من البشر. لقد كانت فعلا نهاية
مأساوية لم يشهد مثلها التاريخ من قبل، لذلك أطلق
عليها اسم نهاية البشرية...